



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

الظروف التي تضاف إلى الجملة وجوباً في القرآن الكريم
(دراسة نحوية تطبيقية)

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب
أسعد أحمد سعيد نبهان

إشراف الأستاذ الدكتور
كرم محمد زرنده

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربية من كلية الآداب بالجامعة الإسلامية بغزة.

1433هـ - 2012م



الإهداء

إلى أرواح الشهداء عامة، وشهداء فلسطين خاصة.

إلى مجاهدينا العظام، وأسرا القابعين خلف القضبان.

إلى القمرين النيرين . . . والديَّ العزيزين.

إلى من كانوا عوناً لي، واجتزت بأنفاسهم الصعاب . . . إخوتي، وأخواتي.

إلى من سهرت الليالي، وتحملت العناء طوال سني الدراسة . . . زوجتي الغالية.

إلى سلوة القلب، وعروس الفجر . . . بُنيتي الغالية.

إلى عمالقة الجامعة الإسلامية وروادها . . . أساتذتي الكرام.

إليكم جميعاً . . . أهدى هذا العمل المتواضع، والله أسألُ أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وان

ينفع به الإسلام والمسلمين، إن ربي على صراط مستقيم.

تقدير وتقدير

قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾⁽¹⁾

لا يسعني في نهاية هذا العمل المتواضع إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور/ كرم محمد زرنديح على ما أسداني من علم، وتوجيهات، والتي كان لها الأثر العظيم في هذا البحث، داعياً العلي القدير أن يجعله في ميزان حسناته، وينفع به ويعلمه الإسلام. كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضلين، الدكتور/ أحمد الجذبة، والدكتور/ فضل النميس، على تفضلهما بقبول مناقشتي في هذا البحث، والله أسأل أن يجعله في ميزان حسناتهما، وأن ينفع بهما ويعلمهما الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

¹ سبأ: 13/58.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد...

فإن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وهي اللغة الأسمى، والأشرف، تبرز قيمتها في قدرتها على التجدد، والبقاء، والاستمرار، كذلك يبرز دورها حينما تقف سداً منيعاً أمام هجمات ذوي الأغراض الدنيئة، الذين يحاولون طمس معالمها، وتهشيم حصونها، لكن محاولتهم كلها باءت بالفشل، كيف لا؟! وهي لغة القرآن الكريم، التي تكفل المولى سبحانه وتعالى بحفظه، وحفظ اللغة العربية بالصون، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (1)

وهي اللغة التي خصها الله لأمة كرمها وبعث فيها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - الصادق الوعد الأمين، وكأنه بذلك يشير إلى أنها اللغة العالمية، والتي يجب أن تكون كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (2)

ومن اعتنق الإسلام فيحسُن به تعلم العربية؛ ليتمكن من قراءة القرآن؛ لأنها وسعت القرآن الكريم، وعلى لسانها قال حافظ إبراهيم (3):

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
وما ضقت عن آي به وعظمت
وتنسيق أسماء لمختروعات (4)

ولعل من أهم روافد العربية "النحو" بمدلولاته، وجمال أساليبه، وطلاوتها، وبخاصة حينما نسخر النحو العربي، وأساليبه لبيان قدرة عربيتنا، وإعجاز قرآننا، وذلك من خلال دراستنا لموضوعات النحو العربي، وأساليبه؛ للوقوف على أسرار الأساليب وطريقة استعمالها.

واللغة العربية أيضاً هي لسان العربي، وشعار الإسلام وأهله؛ لذلك علينا أن نتحدث باللغة وفق قواعدها وأصولها؛ حتى نشعر بجمالها، وطلاوتها، وعذوبتها من خلال أساليبها المتنوعة؛ لذا قررت الغوص في أعماق هذه اللغة؛ لأتذوق جمالها من خلال دراستي للظروف التي تضاف وجوباً

¹ الحجر: 9/15.

² آل عمران: 85/3.

³ محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم، توفي أبوه بعد عامين من ولادته، ثم ماتت أمه بعد بقليل، لقب بشاعر النيل، وهو بالإضافة إلى ذلك شاعر الوطنية، والاجتماع، والمناسبات الخطيرة، وقد عين رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية سنة 1331هـ، توفي سنة 1351هـ. (الأعلام: 6/76).

⁴ ديوان حافظ إبراهيم: 66/1.

إلى الجملة في القرآن الكريم, وهي: "إذ, وإذا, وحيث", ولقد عنونت هذه الدراسة بعنوان " الظروف التي تضاف وجوباً إلى الجملة في القرآن الكريم-دراسة نحوية تطبيقية-".

أولاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أمرين رئيسيين, هما:

1. كونها تطلعتنا على دراسة لظروف يتكرر ورودها في آيات كثيرة من كتاب الله, فمعانيها تحتاج إلى تحديد؛ لأنه قد تصعب التفرقة بين هذه المعاني لاختلاطها بعضها ببعض.
2. الوقوف على أسرار الأساليب التي اشتملت عليها هذه الظروف, وذلك من خلال عرض أساليبها المتعددة, وطريقة استعمالها كل على حده؛ لذلك سيقوم الباحث - إن شاء الله تعالى - بدراسة هذه الظروف من خلال عرض أساليبها المتعددة, وطريقة استعمالها كل على حده.

ثانياً: سبب اختيار الموضوع

هناك عدة أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع, وهي:

1. عشقي لمادتي التربية الإسلامية, واللغة العربية, وشوقي وتوقّي لدسهما منذ كنت طالباً مدرسياً.
2. الاطلاع على تفسير القرآن الكريم من خلال تذوق جمال أساليبه, وربط اللغة العربية بكتابتها الأصل؛ فيزداد علمي في مادتي النحو والتفسير, لا سيما أنني حاصل على درجة البكالوريوس في أصول الدين أيضاً.
3. إبراز الإعجاز اللغوي في كتاب الله, والذي عجز العرب عن الإتيان بآية من مثله؛ فيزداد إيماننا بكتاب ربنا.
4. إبراز الوجوه الإعرابية للظروف التي تضاف إلى الجملة وجوباً, وذلك من خلال كتب التفسير والنحو.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى عدة أهداف أهمها:

1. عرض معاني الظروف في ضوء الأسلوب القرآني, وعلى هدي المعاني النحوية.
2. الوقوف على استعمال هذه الظروف, وطريقة استعمالها كل على حده.
3. الوقوف على أسرار الأساليب التي اشتملت عليها هذه الظروف.
4. رد المكتبة العربية بإضاءة بحثية هادفة في مجالي العلوم القرآنية والنحوية.

رابعاً: الدراسات السابقة:

لقد وقع نظري أثناء تصفحي لبعض الكتب في مكتبة الجامعة الإسلامية علي كتاب لفضيلة الدكتور عبد العال سالم مكرم بعنوان: "أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية", ولم أعتز على دراسة غيرها.

خامساً: منهج البحث:

سيقوم الباحث بإتباع المنهج الوصفي الاستقرائي, والذي يتناسب مع طبيعة البحث.

سادساً: طبيعة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى مقدمة, وأربعة فصول, وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول: الظروف التي تضاف وجوباً إلى الجملة في اللغة العربية.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لـ إذ في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لـ إذا في القرآن الكريم.

الفصل الرابع: دراسة تطبيقية لـ حيث في القرآن الكريم.

وأما خاتمة البحث فقد تضمنت النتائج, والتوصيات, والفهارس الفنية.

آملاً من العلي القدير أن يكون هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم, وأن يكتب لنا أجره في ميزان حسناتنا, كما أسأله بأسمائه الحسنی, وصفاته العلی أن ينال إعجاب فضيلة الأستاذ الدكتور: كرم محمد زرنده (المشرف على هذه الدراسة), والأساتذة المناقشين, وكل من قرأ هذه الدراسة, وأخيراً فما كان في هذه الدراسة من خير فمن الله تعالى, وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان, أعاذنا الله من شر الشيطان وكيده؛ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً, وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

الظروف التي تضاف إلى الجملة في اللغة العربية

لعل من بديهيات الأمور أن الإنسان إذا أراد أن يتحدث عن موضوع ما فإن عليه أن يوضح المصطلحات التي يتضمنها العنوان - لا سيما إذا كان يتضمن أكثر من مصطلح -؛ حتى يتضح العنوان، ثم يعطي نبذة عن هذا الموضوع، ثم يتحدث في صلب الموضوع؛ ولذلك رأيت أن أتحدث أولاً عن تعريف مصطلحي الظرف والإضافة، ثم نبذة مختصرة عن الأسماء الملازمة للإضافة إلى الجمل، ومن ثم الحديث المنفصل عن الظروف التي تضاف إلى الجملة وجوباً.

* تعريف الظرف:

أ- الظرف لغة:

الظرف يطلق في اللغة على معانٍ عدة، منها الوعاء، ومنها بلاغة الكلام ووضوحه، ومنها البراعة وذكاء القلب، ومنها حُسْنُ الوَجْهِ والهيئة، وتجمع على ظروف.

يقول الجوهري⁽¹⁾: "الظرفُ: الوعاء، ومنه ظرفا الزمان والمكان عند النحويين....، وجمعها ظروف...، أو الظرف إنما هو في اللسان، فالظرف هو البليغُ الجيّدُ الكلام...، والظرف في اللسان: البلاغة، وحسن العبارة؛ وفي الوجه: الحسن؛ أو الظرف: البراعة، وذكاء القلب، قاله الليث...؛ أو الظرف: الحذقُ بالشيء، هكذا يُسمونه أهل اليمن"⁽²⁾

ويقول العكبري⁽³⁾: "وسميت بذلك - يعني الظروف -؛ لأن الأفعال تقع فيها، وتحلها، ولا تؤثر فيها، فهي كالإناء، والحال فيه غيره؛ ولذلك سمّاها بعضهم (أوعية)، وبعضهم (محال)".

ويقول ابن يعيش⁽⁴⁾: "فالظرف ما كان وعاءً لشيء، وتسمى الأواني ظروفًا؛ لأنها أوعية لما يُجعل فيها، وقيل للأزمنة والأمكنة؛ لأن ظروف الأفعال توجد فيها، فصارت كالأوعية لها"⁽⁵⁾

¹ إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، أشهر كتبه الصحاح، ت 398هـ. (إنباه الرواة: 229/1، بغية الوعاة: 446/1، شذرات الذهب: 346/2، الأعلام: 313/1).

² لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ)، دار صادر، بيروت، ط 1، 228/9-229 (ظرف).

³ اللباب في علل البناء وقواعد الإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: د. غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1416هـ، 271/1.

⁴ الحسن بن محمد بن الحسن بن سابق الدين، ابن يعيش الصنعاني، فقيه الزيدية في عصره، من أهل صنعاء، ت 643هـ. (بغية الوعاة: 228/2، الأعلام: 216/2)

⁵ شرح المفصل، لابن يعيش (643 هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط 1، 41/2، وانظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلايني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 28، 1993، 48/3.

ب- الظرف اصطلاحاً:

يقول المبرد⁽¹⁾: "أما الظروف فهي : أسماء الزمان والمكان.... واعلم ان كل ظرف متمكن فالإخبار عنه جائز, وإنما يكون ظرفاً إذا تضمن شيئاً, نحو, زيد خلفك؛ لان المعنى: زيدٌ مستقرٌ في هذا الموضع"⁽²⁾.

ويقول العكبري⁽³⁾: "والذي يُطلق عليه (الظرف) عند النحويين ما حَسُنَ فيه إظهار (في), وليست في لفظه؛ لأن الحرف الموضوع لمعنى الظرفية (في), فإذا لم تكن, ودلَّ الاسم عليها صار الاسم مُسمًى بها".

ويُعرّف ابن مالك الظرف بأنه: "اسم زمان أو مكان ضمن معنى "في" باطراد"⁽⁴⁾. من خلال ما سبق يتضح لنا أن تعريف الظرف يكاد يكون متفقاً عليه بين جميع النحاة, فهو اسم زمان أو مكان ضمن معنى "في" باطراد, نحو: سافرت يوم الخميس, صليت خلف مقام إبراهيم

-
- 1 محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد سنة 286هـ، وقيل 285هـ. (بغية الوعاة: 2/28، الأعلام: 7/144)
 - 2 المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (285هـ). تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط 1994م، 3/102.
 - 3 اللباب في علل البناء وقواعد الإعراب: 1/271.
 - 4 انظر التعريف في:
 - أمالي ابن الشجري، لهبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (542هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1992م، 2/572.
 - اللباب في علل البناء وقواعد الإعراب: 1/271.
 - شرح المفصل: 8/252.
 - شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يحيى مصري، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ط 1، 1996م، 1/578.
 - شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (672هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا و طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2001م، 2/129.
 - ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (745هـ)، تحقيق: د. رجب محمد و د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانقي، القاهرة، ط 1، 1998م، ص: 1389.
 - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998م، 2/102.
 - دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، لعبد الله صالح الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط 1، 1995م، 1/411، وغيرها من المراجع.

فيوم اسم زمان, وخلف اسم مكان, وكلٌ منهما متضمن معنى "في"؛ ولذا صح أن يقال: إن ظرف الزمان يبين الزمن الذي حصل فيه الفعل، وظرف المكان يبين المكان الذي حصل فيه الفعل، وهذا التضمين باطراد, أي: في مختلف الأحوال مع جميع الأفعال، فنقول: سافرت أو قدمت أو صمت أو خرجت "يوم الخميس" ونحو ذلك.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿أرسله معنا غدا يرتع ويلعب﴾⁽¹⁾ فـ "غداً" ظرف منصوب، ومثله "مع", و حول في قوله تعالى: ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾⁽²⁾.

وخرج بالقيد الأول: "اسم زمان أو مكان" ما إذا تضمنت الكلمة معنى "في" وليست اسم زمان أو مكان، كقوله تعالى: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾⁽³⁾, فإن المصدر المؤول من "أن تنكحوهن" تضمن معنى "في" أي: وترغبون في نكاحهن؛ لجمالهن، ومالهن، لكنه ليس منصوباً على الظرفية؛ لأنه ليس زماناً ولا مكاناً.

وخرج بالقيد الثاني: "ضمن معنى "في" اسم الزمان والمكان الذي لم يتضمن معنى "في", وهو الواقع مبتدأ، أو خبراً، أو مفعولاً، أو غير ذلك، نحو: يوم الجمعة يوم مبارك، فليس (يوم) ظرفاً في كلا الموضعين؛ لأنه لم يتضمن معنى "في", فهي في الموضع الأول "مبتدأ", وفي الموضع الثاني خبر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وأأنذرهم يوم الآزفة﴾⁽⁴⁾ فـ"يوم" منصوب على أنه مفعول به لـ"أنذر" لا على أنه مفعول فيه؛ لما تقدم، ولأن المقصود إنذارهم يوم القيامة ذاته.

وخرج بالقيد الثالث: "باطراد" ما تضمن معنى "في" بدون اطراد، نحو: دخلت البيت، سكنت الدار، فـ"البيت والدار" كل منهما اسم مكان ضمن معنى "في" لكن ليس باطراد؛ لعدم صلاحيته في جميع الأفعال؛ إذ لا يقال: نمت البيت، وجلست الدار، فليست منصوبة على الظرفية، بل على نزع الخافض؛ لأن الفعل "دخل" يتعدى تارة بنفسه، وتارة بحرف الجر، ومثله "سكن", وهذا معنى قوله: "الظرف وقت... الخ", أي: إن الظرف اسم وقت، أو اسم مكان، و"أو" للتبويح بمعنى الواو، و"ضمنا" الألف للتنثية، و"في" أي: معناها دون لفظها، ثم ذكر المثال "هنا امكث أزمننا".⁽⁵⁾

¹ يوسف:13/12.

² الثورى:7/42.

³ النساء:127/4.

⁴ غافر:18/40.

⁵ دليل السالك إلى ألفية ابن مالك 411/1.

تعريف الإضافة:

سأعرف الإضافة في اللغة والاصطلاح كالاتي:

أ- الإضافة لغةً:

تطلق الإضافة في اللغة على معانٍ عدة، منها: الإسناد، و العَدُو، والسُرعة، والفرار، والحذر، والخوف، وعلى القرب من الشيء، والدنو منه، وعلى الاستئناس بالشيء، وعلى نسبة شيء إلى آخر، وعلى النسبة بين شيئين يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر.

يقول الجوهري⁽¹⁾: "وكل ما أُمِلَ إلى شيءٍ، وأُسند إليه فقد أُضيف، وفي الحديث: مُضِيفٌ ظَهَرَهُ إلى القُبَّة، والنحويون يسمُّون الباء حرف الإضافة؛ وذلك أنك إذا قلت: مررت بزيدٍ فقد أضفت مرورك إلى زيدٍ بالباء".

ب- الإضافة اصطلاحاً:

يُعرَّف النحاة الإضافة بأنها: "إسناد اسم إلى اسم آخر، بتنزيل الثاني من الأول منزلة التثوين، أو ما يقوم مقامه في تمام الاسم".⁽²⁾
وقد عرَّفها الصَّبَّان بقوله⁽³⁾: "الإضافة لغة الإسناد، وعرفاً نسبة تقيدية بين اسمين تُوجب لثانيهما الجر أبدأً".

وتبعاً لهذا التعريف فإن الاسم الأول يسمى مضافاً، ويُعرَّب حسب موقعه في الجملة، أما الاسم الثاني فيسمى مضافاً إليه، ويكون ملازماً للجر دائماً.
والأسماء الملازمة للإضافة إلى الجملة تنقسم إلى قسمين⁽⁴⁾:

1. ما يضاف إلى الجملة لزوماً: وهي (إذ، وإذا، وحيث)، فأما حيث فتضاف إلى الجملة بنوعيتها، فالاسمية، نحو: اجلس حيث زيد جالس، و الفعلية، نحو: اجلس حيث جلس زيد، أو حيث يجلس زيد، وشد إذافتها إلى مفرد كقوله:

نجما يضيء كالشهاب لامعا⁽⁵⁾

أما ترى حيث سهيل طالعا

¹ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، دت، د.ط، 5980/1، مادة "صوف".

² لسان العرب: 210/9، وانظر: المقتضب: 143/4، اللباب في علل البناء وقواعد الإعراب: 143/2، شرح المفصل: 118/2، شرح التسهيل: 221/3، ارتشاف الضرب من لسان العرب: ص1799، همع الهوامع: 411/2.

³ حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني، لمحمد بن علي الصَّبَّان، دار الفكر، بيروت، 2003م، 118/1.

⁴ انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط1999م، 58-55/3.

⁵ البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في مغني اللبيب 2/ 133 و خزنة الادب 3/7.

وكلمة "إذ" مثل "حيث" تضاف إلى الجملة بنوعيهما، فالاسمية، نحو، جئتُك إذ زيد قائم،
والفعلية، نحو، جئتُك إذ قام زيد، وأما "إذا" فلا تضاف إلا إلى جملة فعلية نحو آتيتك إذا قام زيد ولا
يجوز إضافتها إلى جملة اسمية فلا تقول آتيتك إذا زيد قائم إلا بتأويل فعل يفسره الفعل المذكور.
2. ما يضاف إلى الجملة جوازاً: وهو ما كان "كإذ" في كونه ظرفاً ماضياً غير محدود، فمثل هذا
الظرف تجوز إضافته إلى ما تضاف إليه إذ، مثل: حين، ووقت، وزمان، ويوم، فنقول: "جئتُك حين
جاء زيد، ووقت جاء عمرو، وزمان قدم بكر، ويوم خرج خالد"، وكذلك تقول: "جئتُك حين زيد قادم".
يقول الرضي⁽¹⁾: "اعلم أن الظروف المضافة إلى الجمل على ضربين: إما واجبة الإضافة إليها
بالوضع، وهي ثلاثة لا غير، (حيث) في المكان، و(إذ)، و(إذا) في الزمان ... و(حيث)، و(إذ)
يضافان إلى الفعلية والاسمية، وأما إذا، ففي جواز إضافته إلى الاسمية خلاف... وإما جائزة الإضافة
إلى الجملة، ولا تكون إلا زماناً مضافاً إلى جملة مستفاد منها أحد الأزمنة الثلاثة..."
ودراستنا متعلقة بالقسم الأول من هذين القسمين، حيث إنني سأحدث عن كل ظرف من
هذه الظروف بشيء من التفصيل.

¹ شرح الرضي على الكافية: 171/3-172.

المبحث الأول "إذ" بناؤها واستعمالاتها

أولاً: سبب بنائها

من المعلوم لدينا أن إذ ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون، وأما عن سبب بنائها فقد نص سيبويه على أن علة البناء كلها ترجع إلى شبه الحرف.⁽¹⁾، وأما ابن مالك فقد أرجعها لسببين:

1. وضعها على حرفين؛ وبذلك فهي تشابه الحروف.⁽²⁾
 2. افتقارها إلى ما بعدها، أي إلى الجملة أو عوض منها، وهو التنوين اللاحق في نحو: يومئذٍ، وحينئذٍ.⁽³⁾، وذلك حاصل عندما تحذف الجملة التي تضاف إليها إذ، ويعوض عنها بالتنوين المسمى تنوين العوض "ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾⁽⁴⁾، أي فلولا حين إذ بلغت الروح الحلقوم تنظرون.⁽⁵⁾
- وقد أورد المرادي، و السيوطي ثلاثة أسباب لبناء إذ، وهي:
1. وضعها على حرفين.

2. افتقارها إلى الجملة التي بعدها.

3. افتقارها إلى التنوين المُسمى تنوين العوض، والذي يقوم مقام الجملة المحذوفة، مثل يومئذٍ، وحينئذٍ، وساعتئذٍ⁽⁶⁾

ويرى بعض النحاة أن ظروف الزمان مضافة إلى (إذ)، وأن (إذ) هذه مضافة في المعنى، حيث يقول الرضي⁽⁷⁾: "وأما نحو: يومئذٍ، وحينئذٍ، وساعتئذٍ، فقالوا: إن الظروف مضافة إلى (إذ) المضافة في المعنى إلى جملة محذوفة مبدلٌ منها التنوين".

وقد اعترض الرضي على القائلين بهذا الرأي، واصفاً إياهم بالتعسف، وأقوالهم بالغريبة والمستهجنة، حيث يقول⁽⁸⁾: "وفي ذلك تعسف من حيث المعنى؛ إذ قولك: حين وقت كذا، ويوم

¹ انظر: الكتاب:3/335، شرح ابن عقيل:1/28.

² شرح التسهيل:2/135، و انظر: همع الهوامع:1/204.

³ شرح التسهيل:2/135، همع الهوامع:1/204.

⁴ الواقعة: 83/56-84.

⁵ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:ص92.

⁶ انظر: الجنى الداني:ص186، وهمع الهوامع:2/127، و ارتشاف الضرب: ص 1402.

⁷ شرح الرضي على الكافية:3/177.

⁸ شرح الرضي على الكافية:3/177-178.

الوقت، وساعة الوقت، ونحو ذلك غريب الاستعمال، مستهجن المعنى، بخلاف نحو قوله تعالى: ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾، إذ معناه: بعد ذلك الوقت، وأما قوله تعالى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾⁽²⁾، فقال أبو علي⁽³⁾ إن الوقت فيها بمعنى الوعد، كما أن معنى قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾⁽⁴⁾ تمَّ ميعاد ربه، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ﴾⁽⁵⁾، ولا يجوز أن يُراد بالوقت الأوان؛ لأن اليوم إما وَضَحَ النهار، وإما بُرْهَةٌ من الزمان، ولو قلت: إلى برهة الزمان، أو يوم الزمان؛ لم يكن ذلك بالسهل، هذا كلامه".

ثم يقول⁽⁶⁾: "والذي يبدو لي في الظاهر أن هذه الظروف التي كلها في الظاهر مضافة إلى "إذ" ليست بمضافة إليه، بل إلى الجمل المحذوفة، إلا أنهم لما حذفوا تلك الجمل؛ لدلالة سياق الكلام عليها؛ لم يحسن أن يُبدَّلَ منها تنوين لاحق بهذه كما أُبدل في كل، وبعض، وإذ، ؛ لأن كلاً وأخويها لازمة للإضافة معنى؛ فيُستدل بالمعنى على حذف المضاف إليه، ويتعين ذلك المحذوف بالقرينة الحاصلة من سياق الكلام؛ فيكمل المراد...".

ويرى الباحث ان ما ذهب إليه أبو علي من تأويل لكلمة الوقت بمعنى الوعد تأويل غير دقيق، وربما كان تحميلاً للألفاظ بما لا تحتمله، واعتراضه على أن المراد بالوقت الأوان هذا كلام فيه نظر.

إن ما ذهب إليه الرضي من أن الظروف المضافة إلى "إذ" في حقيقتها مضافة إلى الجمل المحذوفة، وأن السبب الرئيس لحذف تلك الجمل دلالة سياق الكلام عليها قول يقبله العقل، وترتاح إليه النفس.

وقد بيّن الرضي أن سبب تنوين "إذ" في قول الشاعر⁽⁷⁾:

نهيتك عن طلابك أم عمرو
بعافية وأنت إذ صحيح⁽⁸⁾

¹ آل عمران: 80/3.

² الحجر: 38/15.

³ هو أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، أخذ النحو عن جماعة من أعيان هذا الشأن كأبي إسحاق الزجاج، له العديد من الكتب، منها: الحجة للقراء السبعة، وغيرها، ت377هـ. (إنباه الرواة: 308/1، معجم الأديباء: 82/1-83).

⁴ الأعراف: 142/7.

⁵ البروج: 2/85.

⁶ شرح الرضي على الكافية: 178.

⁷ الشاعر هو أبو ذؤيب، وهو خويلد بن خالد، من مضر، شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وعاش إلى أيام عثمان، قيل مات بمصر، وقيل بإفريقية. (معجم الأديباء: 309/3، وخزانة الأدب: 203/1، الأعلام: 253/2).

⁸ البيت في اللسان: 49/1، 50/1، وتهذيب اللغة: 48/15.

هو أن "إذ" لازمة للإضافة، وأن التتوين عوضاً عن الجملة المحذوفة، وأما ظروف الزمان الأخرى فسبب بنائها يرجع إلى خوفهم من التباس التتوين فيها بتتوين التمكن؛ لأن تتوينها تتوين العوض، وليس تتوين تمكن.⁽¹⁾

يقول الرضي⁽²⁾: "لأن "إذ" لازم الإضافة، ولا وجه لتتوينه إلا أن يكون عوضاً؛ لبعد معنى التتكير، والتمكن منه، وأما هذه الظروف، فليست بلازمة للإضافة معنى، فلو قلت: جاءني زيدٌ وكنت حيناً كذا، وقصدت حذف المضاف إليه، وإبدال تتوين "حيناً" منه، أي: حين ذلك، لم يكن ظاهراً في ذلك المعنى، بل ظاهره: إن التتوين فيه للتتكير، فلما خافوا التباس تتوين العوض في يوماً وحيناً، وساعةً بغيره من تتوين التمكن والتتكير؛ توصلوا إلى الدلالة على الجمل المحذوفة المضاف إليها هي في الأصل بأن أبدلوا من تلك الظروف بدل الكل ظرفاً لازماً للإضافة إلى الجمل، خفيفاً في اللفظ، صالحاً لجميع أنواع الأزمنة من الساعة، والحين، والليلة، وغير ذلك متعوداً أن يحذف الجمل المضافة إليها هو، مع إبدال التتوين منها، كما في قوله: "وأنت إذ صحيح".

يقصد الرضي أن النحاة اصطاحوا على كلمة (إذ) لتدل على الزمان، وتحل محل أي أداة أخرى دالة على الوقت، فتقدير قول الشاعر: "وأنت إذ صحيح"، يصح أن يكون بمعنى: وأنت حينئذٍ صحيح، وبمعنى: وأنت وقتئذٍ صحيح، وبمعنى: "وأنت ساعتئذٍ صحيح".

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الأدلة التي قدمها ابن مالك على بناء إذ هي نفسها التي قدمها المرادي و السيوطي، إلا أنهما في البندين الثاني والثالث قد جزءا الدليل الثاني من أدلة ابن مالك وقدماه في دليلين.

ويضيف ابن يعيش دليلاً رابعاً، وهو شبهها بالموصولات، وتنزيلها منزلة بعض الاسم؛ لأنها تقع على الأزمنة الماضية كلها.

يقول ابن يعيش⁽³⁾: "وأنها- أي إذ- تقع على الأزمنة الماضية كلها مبهمة فيها، لا اختصاص لها ببعضها دون بعض؛ فاحتاجت كذلك إلى ما يوضحها، ويكشف عن معناها؛ وإيضاحها يكون بجملة بعدها؛ فصارت بمنزلة بعض الاسم، وضارعت الذي، والأسماء الناقصة المحتاجة إلى الصلات؛ لان الأسماء موضوعة للدلالة على المسميات، والتميز بين بعضها وبعض، فإذا وُجد منها ما يتوقف معناه على ما بعده حلَّ مع ما بعده من تمامه محل الاسم الواحد، وصار نفسه بمنزلة

¹ انظر: شرح الرضي: 178/3، و الجني الداني: ص 186-187.

² شرح الرضي: 178/3.

³ شرح المفصل 95/4-96.

بعض الاسم، وبعض الاسم مبني؛ لأن بعض الاسم لا يوضع للدلالة على المعنى، وبنيت على السكون على أصل البناء على ما تقدم".

ويرى جمهور النحويين أن السبب في كسر الذال في نحو، حينئذٍ، ويومئذٍ إنما هو التقاء ساكنين.⁽¹⁾ ولتفسير رأي الجمهور يمكن القول بأن الساكنين هما سكون ذال إذ وسكون التثوين، فتخلص من التقاء الساكنين بكسر الذال.⁽²⁾

وقد خالف الأخفش الأكبر⁽³⁾ جمهور النحويين في ذلك؛ لأنه يرى أن كسر ذال إذ ليست للتخلص من التقاء الساكنين، وإنما هي كسرة إعراب، وأن السبب في بنائها إنما هو افتقارها إلى جملة تضاف إليها، حيث يقول⁽⁴⁾: "إذ إنما بنيت لإضافتها إلى الجملة، فلما حذفت الجملة عاد إليها الإعراب فجرت بالإضافة".

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الأخفش الأكبر يرى أن علة بناء "إذ" تكمن في افتقارها إلى جملة تضاف إليها، فإذا ما حُذفت المضاف إليه، وهو الجملة، وعُوض عنها بالتثوين؛ رجع الإعراب إلى "إذ"، فهي مجرورة في المثالين: يومئذٍ، وحينئذٍ بإضافة يوم إليهما، والمضاف إليه معرب مجرور.⁽⁵⁾

وقد ردَّ المرادي على رأي الأخفش الأكبر الذي خالف فيه جمهور النحويين مبيناً أن سبب بناء إذ ليس هو الإضافة إلى الجملة، وأورد على ذلك أدلة نجملها بما يأتي:

1. أن سبب بناء إذ ليس هو الإضافة إلى الجملة، وإنما افتقارها إلى جملة تضاف إليها، وأن الافتقار عند حذف الجملة ابلغ، فالبناء حينئذٍ أولى.⁽⁶⁾

يقول الدكتور/ عبد العال سالم مكرم⁽⁷⁾: "يدور رأي المرادي في البناء حول الافتقار، وإذ لأنها من الظروف المبهمة تحتاج إلى إيضاح يوضح هذا الإبهام، ويحدُّ من غموضه، ومن هنا كانت

¹ انظر: الجني الداني: ص 186، وأسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية، د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، بيروت، 2007: ص 11.

² انظر: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: ص 11.

³ هو أبو الخطاب، عبد الحميد بن عبد المجيد، من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب، وأخذ عنهم، وهو أول من فسر الشعر، ت 177 هـ. (إنباه الرواة: 157/2، معجم الأدباء: 219/2، طبقات الزبيدي: 17، بغية الوعاة: 1/553).

⁴ الجني الداني: 186.

⁵ انظر: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: ص 12.

⁶ انظر: الجني الداني: 186، و أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: ص 12.

⁷ أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: ص 13.

الحاجة ماسة إلى جملة تليها؛ لتكشف عن إيهامها، وكان سبب الافتقار إلى الجملة التي بعدها هو سبب البناء، فعند حذفها، والتعويض عنها بتتوين العوض رجع إليها الغموض مرة أخرى، وإن كان في هذه الحالة أقل؛ لقيام التتوين مقام الجملة؛ ولهذا فإنها في حالة افتقارها إلى الجملة بنيت، وزاد الافتقار أكثر عند حذف الجملة، فكان البناء أولى؛ لأن الافتقار إلى الجملة عند عدم وجودها أبلغ من الافتقار إلى الجملة حالة وجودها".

ويرى الباحث أن افتقار (إذ) إلى جملة بعدها توضح المقصود منها لا يُعد سبباً لبنائها؛ لأن (إذ) مبنية في كل الأحوال سواءً وجدت الجملة أو حُذفت.

وقد رد الرضي على الأخفش بقوله⁽¹⁾: "وكسر الذال في نحو: حينئذٍ لالتقاء الساكنين لا للجر خلافاً للأخفش؛ فإنه زعم أنه مجرور بالإضافة، وبناء إذ يمنع جرّه، وأيضاً نحن نعلم أنه في قوله: "وأنت إذٍ صحيح" ليس بمجرور، وهو مثله في حينئذٍ، لكنهم إنما ألزموها الكسر؛ لتكون صورة المضاف إليه الظرف الأول، ويحق في غيرها الفتح، ومما وردت فيه الذال مفتوحة قوله تعالى حاكياً⁽²⁾: ﴿فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾⁽³⁾.

2. أن بعض العرب يفتح الذال تخفيفاً، فيقول: حينئذاً. يقول الرضي⁽⁴⁾: "والحق أن "إذ" إذا حذف المضاف إليه منه، وأبدل منه التتوين في غير نحو: "يومئذٍ" جاز فتحه أيضاً، ومنه قوله تعالى حاكياً: ﴿فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾⁽⁵⁾، أي فعلتها إذٍ ربييتي؛ إذ لا معنى للجزاء هنا".

3. أن الكسر يوجد دون إضافة، كقول الشاعر⁽⁶⁾:

نهيتك عن طلابك أم عمرو
بعافية وأنت إذٍ صحيح

وموطن الاستشهاد بهذا البيت هو كسر ذال إذ مع التتوين، ولا موجب للكسر غير التقاء الساكنين، فليس لـ إذٍ مضافٌ تضاف إليه وتجر بسببه بالكسر كما كانت شبهة ذلك محققة في يومئذٍ وحينئذٍ؛ لوجود المضاف فيها، وهو حين و يوم.⁽⁷⁾

¹ شرح الرضي: 179.

² وهذا القول ورد على لسان موسى -عليه السلام- بعدما قتل القبطي.

³ الشعراء: 201/26.

⁴ شرح الرضي: 179.

⁵ سبق تخريج الآية: ص 13.

⁶ سبقته ترجمته وتخريج البيت: ص 11.

⁷ أنظر: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: ص 14.

ويرى الباحث أن علة بناء (إذ) ترجع لسبب واحد فقط، وهو مشابهتها الحرف، ولكن كل ما قيل من أسباب يرجع إلى الاجتهاد بين النحاة في بيان وجه الشبه بينهما، ووجه الشبه بينهما يكمن أمرين: 1. وضعها على حرفين. 2. افتقارها للجملة بعدها؛ ليتضح المقصود منها.

ثانياً: استعمالات (إذ)

إذ في اللغة العربية لفظ مشترك، تارة يكون اسماً، وتارة يكون حرفاً؛ وهو ستة أقسام كما يأتي:
القسم الأول: أن يكون ظرفاً لما مضى من الزمان، نحو، قمت إذ قام زيد، ولا خلاف في اسمية هذا القسم، والدليل على اسمية "إذ" هذه من أربعة وجوه، ذكر السيوطي⁽¹⁾ منها ثلاثة، والرابع ذكره المرادي⁽²⁾، واليك هذه الوجوه:

أ. الإخبار بها مع مباشرة الفعل، نحو، مجيئك إذ جاء زيد.

ب. إبدالها من الاسم، نحو، رأيتك أمس إذ جئت.

ت. تنوينها في غير ترنم، نحو، يومئذ.

ث. الإضافة إليها بلا تأويل، نحو، قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾⁽³⁾

وموطن الاستشهاد في الآية أن (إذ) وقع مضافاً إليه، وأنها قد تخرج عن الظرفية، وتأخذ وجوهاً أخرى من الإعراب، وهذا ما سيتم مناقشته عند الحديث عن خروج (إذ) عن الظرفية.

يقول السيوطي⁽⁴⁾ مستدلاً على اسمية إذ ما نصه: "والدليل على اسميتها قبولها التنوين، والإخبار

بها، نحو، مجيئك إذ جاء زيد، والإضافة إليها بلا تأويل، نحو، قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾."

ويقول المرادي⁽⁵⁾: "والدليل على اسمية هذه من أربعة وجوه، أحدها: الإخبار بها مع مباشرة

الفعل، نحو: مجيئك أمس إذ جاء زيد، وثانيها: إبدالها من الاسم، نحو، رأيتك أمس إذ جئت، وثالثها:

تنوينها في غير ترنم، نحو: يومئذ، ورابعها: الإضافة إليها بلا تأويل، نحو، قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ

هَدَيْتَنَا﴾⁽⁶⁾."

وذهب ابن هشام الأنصاري في كتابه المغني إلى أن إذ في هذه الحالة يكون لها أربعة استعمالات، وهي⁽⁷⁾:

¹ همع الهوامع: 172/3.

² انظر: الجني الداني: ص 185-186.

³ آل عمران: 8/3.

⁴ همع الهوامع: 172/3.

⁵ الجني الداني: 188.

⁶ سبق تخريجها.

⁷ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: 84-86.

1. أن تكون ظرفاً، وهو الغالب، نحو، قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ﴾⁽¹⁾ يقول سيبويه⁽²⁾: "وأما (إذ) فهي لما مضى من الدهر، وهي ظرف بمنزلة (مع)".

ومعنى ذلك أن (إذ) عند سيبويه لا تخرج عن الظرفية، ولكونها شرطاً فإنها لا تعمل فيما بعدها، ودخولها على الاسم أولى من دخولها على الفعل. ويقول أيضاً⁽³⁾: "فتركت الأسماء بعدها على حالها، كأنه لم يذكر قبلها شيء ... إذ كانت لا تُغَيَّرُ ما دخلت عليه".

ويتبع نهج سيبويه في ظرفية (إذ) الجمهور، حيث إنهم قالوا بأن (إذ) لا تكون إلا ظرفاً، نحو، قوله تعالى: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ﴾، ومضافاً إليها الظرف، نحو، قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾⁽⁴⁾⁽⁵⁾

ويرى الباحث أنه لا يجوز حصر (إذ) في الظرفية، فقد تقع مفعولاً به، وبدلاً.

2. أن تكون مفعولاً به، نحو، قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾⁽⁶⁾

والغالب على المذكور في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولاً به، بتقدير اذكر، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾⁽⁷⁾، وقوله أيضاً: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ﴾⁽⁸⁾.

يقول الزجاج⁽⁹⁾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾⁽¹⁰⁾

موضع "إذ" نصب كأنه قال: واذكروا إذ نجيناكم من آل فرعون⁽¹¹⁾، ويقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ

فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾⁽¹²⁾ موضع "إذ" نصب كالتي قبلها.⁽¹³⁾

¹ التوبة: 40/9.

² الكتاب: 229/4.

³ السابق: 116/4.

⁴ الزلزلة: 4/99.

⁵ أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: ص 19.

⁶ الأعراف: 86/7.

⁷ البقرة: 30/2، الحجر: 28/15.

⁸ البقرة: 34/2، الإسراء: 61/17، الكهف: 50/18، طه: 116/20.

⁹ أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، عالم بال نحو واللغة، ولد ومات في بغداد، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلمه المبرد، ت 311هـ . (إنباه الرواة: 569/1، معجم الأدباء: 82/1، الأعلام: 39/1-40).

¹⁰ البقرة: 49/2.

¹¹ معاني القرآن و إعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (311هـ)، شرح وتحقيق الدكتور: عبد الجليل

عبد شلبي، دار الوليد، جدة، ط 1، 1994م: 130/1.

¹² البقرة: 50/2.

¹³ معاني القرآن وإعرابه: 132/1

ويقصد الزجاج بذلك أن "إذ" في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره اذكروا إذ فرقنا بكم البحر.

يقول ابن هشام⁽¹⁾: "وبعض المعربين يقول في ذلك: إنه ظرفٌ لاذكر محذوفاً، وهذا وهم فاحش؛ لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر في ذلك الوقت، مع أن الأمر للاستقبال، وذلك الوقت قد مضى قبل تعلق الخطاب بالمكلفين مناً، وإنما المراد ذكر الوقت نفسه لا الذكر فيه".

3. أن تكون بدلاً من المفعول، نحو قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ﴾⁽²⁾ فاذاً: بدل اشتمالٍ من مريم على حد البديل في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً﴾⁽⁴⁾ يحتمل كونَ إذ فيه ظرفاً للنعمة وكونها بدلاً منها.⁽⁵⁾

4. أن يكون مضافاً إليها اسم زمانٍ صالحٍ للاستغناء عنه، نحو، يومئذٍ وحينئذٍ أو غير صالحٍ له نحو قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾⁽⁶⁾.

ويرى الجمهور أن إذ لا تقع إلا ظرفاً أو مضافاً إليها، وأنها في نحو قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾⁽⁷⁾، ظرفٌ لمفعول محذوف، أي: واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلاً، وفي نحو قوله تعالى: "إذ انتبذت" ظرفٌ لمضافٍ إلى مفعول محذوف، أي: واذكر قصة مريم، ويؤيد هذا القول التصريح بالمفعول في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾⁽⁸⁾ ⁽⁹⁾

¹ انظر: مغني اللبيب: 84/1-85.

² مريم: 16/19.

³ البقرة: 217/2.

⁴ المائدة: 20/5.

⁵ انظر: مغني اللبيب: 85/1.

⁶ سبق تخريجها: ص: 14.

⁷ الأعراف: 86/7.

⁸ المائدة: 7/5.

⁹ مغني اللبيب: 85/1.

ومن الغريب أن الزمخشري⁽¹⁾ قال في قراءة بعضهم ﴿لَمِنَ مَنْ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾⁽²⁾ إنه يجوز أن يكون التقدير منه إذ بعث، وأن تكون إذ في محل رفع كإذا في قولك: "أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً"، أي لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه⁽³⁾.

والواقع أن الزمخشري جانب الصواب في هذا التقدير؛ لأن العبارة التي ينسبها للعرب لا تقولها، فالعرب تقول: "أخطب ما يكون الأمير قائماً"، وتقدير القول كما قال الزمخشري: أخطب ما يكون الأمير إذ كان أو إذا كان قائماً، فـ"إذ" عند إرادة المضي، و"إذا" عند إرادة الاستقبال، فقائماً في هذا القول حال سدت مسد الخبر الذي حذف وجوباً في هذه الحالة، وتقدير الخبر المحذوف: إذ كان أو إذا كان، وعامل الحال هو ضمير كان التامة، والحال هنا لا تصلح أن تكون خبراً للمبتدأ الذي هو اسم تفضيل⁽⁴⁾، فقائماً على هذا التقدير قامت مقام "إذ كان" لأن في الحال معنى الظرفية كما يقول الصبان؛ لأن معنى لقيت زيدا ركباً: لقيته في وقت الركوب، و"إذ كان" سد مسد المتعلق الذي هو الخبر في الحقيقة كسداد بقية الظروف مسد متعلقاتها العامة.⁽⁵⁾

ثم إن الزمخشري يقيس إذ على إذا، فالموضع في المثال المذكور صالح لـ "إذ" و "إذا" معاً، فهو مع "إذ" يصلح عند إرادة المضي، و هو في الوقت نفسه يصلح مع "إذا" عند إرادة الاستقبال.

¹ محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين، والتفسير، واللغة، والآداب، ولد في زمخش (من قرى خوارزم)، ت 583هـ. (معجم الأدباء: 488/5، وفيات الأعيان: 81/2، بغية الوعاة: 419/2).

² لم ينسب أبو حيان في البحر المحيط، ولا الزمخشري في الكشاف القراءة لقارئ معين، ولم أعثر عليها في المحتسب. (انظر المحتسب: 151/1-187، البحر المحيط: 103/2، الكشاف: 436/1).

وانظر: الحجة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه، تحقيق: د. عبد العال مكرم، دار الشروق، ط3، 1997، ص: 105-118، وانظر أيضاً: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، د. عبد الفتاح بنامش، دار الكتاب العربي، 1981م، ص: 33-37، وابن هشام أيضاً لم يعثر على هذه القراءة.

يقول ابن هشام: "الآية (لقد من... آل عمران: 164/3"، وانظر: مغني اللبيب: 85/1-86).

³ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (583هـ) بتحقيق: عبد الرازق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت، 463/1.

⁴ أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: ص18.

⁵ حاشية الصبان، محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، 218/1.

القسم الثاني: أن يكون ظرفاً لما يستقبل بمعنى "إذا"، ذهب إلى ذلك قوم من المتأخرين، منهم ابن مالك، وابن هشام، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَعْغَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾⁽¹⁾، وآياتٍ أُخر⁽²⁾.

وقد اختلف المفسرون في ذلك، فبعضهم صرح بأنها تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان بمعنى إذا، والآخرين رفضوا هذا الرأي، وقالوا إن إذ لا تدل على المستقبل بل دلالتها على الماضي، حتى وإن جاء الفعل بعدها مضارعاً يدل على المستقبل، ولكل وجهته التي دعمها بالأدلة، ويرى أكثر المحققين إلى أن إذ لا تقع موقع إذا، ولا إذا موقع إذ.

يقول المرادي⁽³⁾: "وذهب أكثر المحققين إلى أن إذ لا تقع موقع إذا، ولا إذا موقع إذ، وهو الذي صححه المغاربة، وأجابوا عن هذه الآية ونحوها، بأن الأمور المستقبلية لما كانت في إخبار الله تعالى، متيقتة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ الماضي. وبهذا أجاب الزمخشري، وابن عطية⁽⁴⁾، وغيرهما".

وقد أجاز الإمام الطبري⁽⁵⁾ في غير موضع هذه النيابة قياساً على نيابة "إذا" في الدلالة على الماضي، واستدل لذلك بأقوال قدماء المفسرين، وبكلام العرب، وجعل منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁶⁾، أي: ولو ترى إذا وقفوا على النار.⁽⁷⁾

قال ابن مالك⁽⁸⁾ في قول ورقة بن نوفل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك"⁽⁹⁾، استعمل فيه إذ موافقة لـ "إذا" في إفادة الاستقبال، وهو استعمال صحيح

¹ غافر: 70/40.

² الجني الداني: 188، ومن الآيات التي أُستدل بها الزلزلة: 4/99.

³ الجني الداني: 188.

⁴ هو محمد بن عطية الأندلسي، المفسر، صاحب كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت 546هـ . (بغية الوعاة: 138/2، معجم الأدياء: 131/2).

⁵ هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مفسر، محدث، فقيه، له العديد من الكتب، ت 310هـ . (معجم الأدياء: 242/5، طبقات المفسرين (الداودي): 114/2، طبقات المفسرين (السيوطي): 96، الأعلام: 209/1).

⁶ الأنعام: 27/6.

⁷ الطبري: 137/7 و 174.

⁸ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، جمال الدين محمد بن مالك بن عبد الله، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م، ص: 4.

⁹ صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط 1993م، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (4).

غفل عن التنبيه إليه أكثر النحويين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وقوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾⁽²⁾

يقصد ابن مالك بقوله أنه مثلما تستخدم "إذا" للدلالة على المستقبل قد تستخدم "إذ" للدلالة على المستقبل، فمن المعلوم لدينا أن يوم الحسرة الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، لم يأت بعد، فكأنني به يقول: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ يُقْضَى الْأَمْرُ، وكذا قوله: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾، فاستخدم القرآن إذ مقام إذا، فالأدوات تقوم مقام بعضها البعض، والقرآن الكريم حين يستخدم بعضاً من هذه الأدوات مقام الأخرى لم يستخدمها لمجرد الاستخدام؛ لأن كل أداة لها استخداماتها، أو استخداماتها الخاصة بها؛ ولذلك فإن هذا الاستخدام القرآني الرائع في استخدام إذ مقام إذا يرجع لناحية بلاغية، وهي أن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ الماضي، وممن يرى دلالة "إذ" على المستقبل ابن هشام، حيث يقول في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾، فإن يعلمون مستقبل لفظاً ومعنى؛ لدخول حرف التنفيس عليه، وقد أعمل في "إذ" ويلزم أن يكون بمنزلة "إذا"⁽³⁾

ويقصد ابن هشام أنه استخدم مع "إذا" سوف، وسوف هذه تدل على المستقبل؛ فلزم أن تكون إذ بمعنى "إذا"، وأيضاً يجوز أن نستخدم معها السين فنقول: "سيعلمون إذ الأغلال..." ويرى أكثر المفسرين دلالة "إذ" على الاستقبال، ومنهم: الطبري، وابن الجوزي، والقرطبي وغيرهم. يقول القرطبي⁽⁴⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾، وعلى هذا تكون إذ بمعنى إذا، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ فَرَغُوا فَلَمَّا فُوتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾⁽⁶⁾ (7)

¹ غافر: 18/40.

² سبق تخريجها: ص: 17.

³ مغني اللبيب: 1/113.

⁴ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، توفي بمصر سنة 671هـ. (طبقات المفسرين) (السيوطي): 92، الأعلام: 322/5.

⁵ المائدة: 5/116.

⁶ سبأ: 51/34.

⁷ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتاب العربي، مصر، 1967م، 375/6.

ويقول الطبري⁽¹⁾: "قال آخرون: بل هذا خبر من الله ذكره عن أنه يقول لعيسى ذلك يوم القيامة".
ويقول ابن الجوزي⁽²⁾: "زمان هذا القول قولان:

أحدهما: أنه يقول له يوم القيامة قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج .
والثاني: أنه قاله له حين رفعه إليه قاله السدي والأول أصح⁽³⁾

ويؤكد الأستاذ عبد الخالق عزيمة مجيء إذ للدلالة على المستقبل، حيث يقول⁽⁴⁾: "وما الذي يمنع أن تقوم الأدوات بعضها مقام بعض، تجيء "إذ" بمعنى "إذا"، كذلك تجيء "إذا" بمعنى "إذ". وبهذا الاستفهام الاستنكاري يرد الأستاذ عزيمة على القائلين بأن "إذ" لا تفيد الاستقبال كـ"إذا".

والى هذا ذهب د. عبد العال سالم مكرم، حيث يقول⁽⁵⁾: "والرأي الذي أميل إليه هو جواز وقوعها موقع إذا الدالة على المستقبل؛ لان الأدوات يقع بعضها موقع بعض؛ لاعتبارات بلاغية تُدرك من الموقف، وتتضح من السياق، ويشير إليها الأسلوب، يدلك على ذلك أن الأمور المستقبلية لما كانت في إخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ الماضي".
وبهذا التحليل استطاع د.مكرم أن يثبت أن إذ تقع موقع إذا في الدلالة على المستقبل.
يقول سيبويه⁽⁶⁾: "إذ ظرفٌ لما مضى من الدهر".

ومعنى ذلك أن إذ لا تستعمل عند سيبويه إلا ظرفاً لما مضى من الدهر، ويرى سيبويه أن الزمان إذا أُضيف إلى الفعل بشرط أن يكون هذا الفعل قد وقع فإنه يكون بمعنى إذ، أما إذا أُضيف إلى الجملة الفعلية التي لم يقع فعلها فإنه يكون بمعنى إذا.

ويقول أيضاً⁽⁷⁾: "وجملة هذا الباب أن الزمان إذا كان ماضياً أُضيف إلى الفعل، والى الابتداء والخبر؛ لأنه في معنى إذ؛ فأُضيف إلى ما يضاف إليه إذ، وإذا كان لما لم يقع؛ لم يُضف إلا إلى الأفعال؛ لأنه في معنى إذا، وإذا هذه لا تُضاف إلا إلى الأفعال".

¹ تفسير الطبري: 234/11.

² عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ، والحديث، مولده ووفاته ببغداد، له نحو ثلاثمائة مصنف، ت 597هـ. (معجم الأدباء: 228/1، وفيات الأعيان: 279/1، والأعلام: 317/2).

³ زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1983م، 463/2.

⁴ دراسات لأسلوب القرآن، عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة، 145/1.

⁵ أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: ص26.

⁶ الكتاب: 229/4.

⁷ الكتاب: 119/3.

وبناءً على كلام سيبويه فإنك إذا قلت كان هذا إذ نجح محمد، أو كان هذا إذ محمد ناجح صح قولك، أما إذا قلت كان هذا إذا نجح محمد فهذا خطأ، ولم يصح فيه قولك؛ لأنك أضفت إذ في المثال الأول إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ -الزمن الماضي-، وفي المثال الثاني أضفتها إلى جملة اسمية، وكان الشرط فيها متحققاً، بأن كان خبرها جملة فعلية فعلها ماضٍ، أو شبه جملة، أو مفرد، وهذا مقصد استخدام إذ عند سيبويه؛ أما في المثال الثاني فإن الصواب أن نقول يكون هذا إذا ينجح محمد؛ لأن إذ لا تضاف الا إلى المستقبل.

يقول الزمخشري⁽¹⁾ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالِ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ إلى مثل قولك: سوف أصوم أمس؟ قلت: المعنى على إذا: إلا أن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها: عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال".

ونقل عن المبرد أن دلالتها على الماضي ثابتة، وإن جاء بعدها الفعل مضارعاً يدل على المستقبل، كما هو الأمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾⁽²⁾، أي: إذ قلت.⁽³⁾

ويرى الباحث أن الحق فيما ذهب إليه القائلون بوقوع إذ للدلالة على الاستقبال، وهذا ما ترتاح إليه النفس وتقر له العين، فقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالِ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾، فلما كان الأمر متيقناً ولم يأت بعد عبر عنه بلفظ الماضي، وهذا في علم المعاني يُسمى التعبير عن المضارع بصيغة الماضي؛ وذلك لتأكيد الفعل، وهذا استخدم بكثرة في القرآن الكريم، وفي كلام العرب.

يقول الزمخشري⁽⁴⁾: "فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده؟، قلت: ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية؛ وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز، وخصوصية بحال تُستغرب، أو تهم المخاطب، أو غير ذلك".

ويقول ابن هشام⁽⁵⁾: "إنهم يعبرون عن الماضي كما يعبرون عن الشيء الحاضر؛ قصداً لإحضاره في الذهن، حتى كأنه مشاهدٌ حالة الإخبار".

¹ الكشاف: 183/4.

² الأحزاب: 37/33.

³ القرطبي: 169/7.

⁴ الكشاف: 142/5.

⁵ مغني اللبيب: 905/1.

ويرى فريق من العلماء، منهم سيبويه، وأبو علي المرادي، وأكثر المغاربة أن "إذ" لا تقع موقع "إذا"، ولا "إذا" موقع "إذ"، وبه قال جمهور النحاة.

وقد أشار ابن هشام إلى ذلك بقوله⁽¹⁾: "والجمهور لا يثبتون هذا القسم، ويجعلون الآية⁽²⁾ من باب "نُفِخَ فِي الصُّورِ" أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع، وقد يُحتج لغيرهم بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالِ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾، فإنَّ (يعلمون) مستقبل لفظاً ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه، وقد أعمل في "إذ"؛ فيلزم أن يكون بمنزلة "إذا" "

من كلام سيبويه السابق نخرج بنتيجة مفادها أن سيبويه يرى أن "إذ" لا تضاف إلا إلى الجملة الاسمية، كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾⁽³⁾، أما إذا كان خبر المبتدأ جملة فعلية فيجب أن يكون فعلاً مضارعاً، فقولك: أجيء إليك إذ والدك سافر لا يصح، أو أن تكون مضافة إلى جملة فعلية غير شرطية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى، نحو، قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾⁽⁴⁾، أو فعلها مضارع لفظاً لا معنى، نحو، قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾⁽⁵⁾؛ فإن زمن البناء سابق لزمن نزول الآية إذ لو وُضع الماضي لكان المضارع⁽⁶⁾.

يقول ابن الحاجب⁽⁷⁾: "واعلم أنه يقبح أن يليها اسمٌ بعده فعلٌ ماضٍ، نحو، إذ زيدٌ قام، بل الفصيح: إذا قام زيد؛ لأن إذ موضوعٌ للماضي، فإيلاؤه الماضي؛ للمشكلة والمناسبة، ولا يردُّ عليه نحو، إذا زيد يقوم؛ لأن إذا على مذهب سيبويه داخله على يقوم المقدر المفسر بهذا الظاهر؛ وأما على مذهب من أجاز دخولها على اسمية خبرها فعل، فهذا واردٌ عليه، ولا مخلص له منه إلا استنباح استعمال مثل هذا أيضاً، أعني إذا يقوم زيد فقل له كذا، والحق أنه قبيح قليل الاستعمال"⁽⁸⁾

¹ مغني اللبيب: 905/1، وانظر: الجني الداني: ص 186.

² قوله تعالى: "يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا" الزلزلة: 4/99.

³ الأنفال: 26/8.

⁴ البقرة: 124/2..

⁵ البقرة: 127/2.

⁶ الجني الداني: 24.

⁷ عثمان بن عمر بن أبي بكر، أبو عمرو ابن الحاجب، فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية، كردي الأصل، ولد في مصر ونشأ في القاهرة، ت 646هـ. (وفيات الأعيان: 1/314، بغية الوعاة: 2/134، مفتاح السعادة: 1/508، الأعلام: 4/210-211).

⁸ شرح الرضي على الكافية: 201/1.

ويقول المرادي⁽¹⁾: "واعلم أن إذ تضاف إلى الجملتين: الاسمية، والفعلية، ولا تضاف إلى جملة شرطية إلا في ضرورة، ويقبح أن يليها اسم بعده فعل ماض، نحو، كان ذلك إذ زيد قادم؛ لما فيه من الفصل بين المتناسبين؛ ولذلك حسن: إذ زيد يقوم"
القسم الثالث: أن يكون للتعليل، نحو قولك: انتصر إذ استعد، أي لأنه استعد، ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾⁽²⁾، أي ولن ينفعكم اليوم ما جئتم به من أعمال؛ لأنكم ظلمتم، ونحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ اعتزلتموهم وما يعبدون إنا الله﴾⁽³⁾، ومنه قول الشنفرى⁽⁴⁾:

وإن مُدَّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكنْ بأعجلهم إذ أجشعُ القومَ أَعْجَلُ⁽⁵⁾

وقد اختلف النحويون في اسمية إذ التعليلية و حرفيتها على قولين:
أحدهما: أنها حرف تعليل كاللام، وهو اختيار ابن مالك⁽⁶⁾، وبه قال الرضي⁽⁷⁾، ونُسبَ ذلك إلى سيبويه⁽⁸⁾، حيث أشار إليها في باب: "ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي" فذكر في نحو: أما أنت منطلقاً انطلقت معك، أن "أن" بمعنى "إذ" و "إذ" في معناها أيضاً في هذا الموضع، إلا أن "إذ" لا يحذف معها الفعل، و"أما" لا يذكر بعدها الفعل المضمر⁽⁹⁾، ومما يدل على أنها تكون بمعنى "أن" قراءة ابن مسعود لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾⁽¹⁰⁾.

¹ الجنى الداني: 187.

² الزخرف: 39/43.

³ الكهف: 16/18.

⁴ عمرو بن مالك الأزدي القحطاني، شاعر جاهلي، من فحول الطبقة الثانية، كان من فتاك العرب، وعدائهم، وقد تبرأت منه عشيرته، قتله بنو سلامان، وفي الأمثال: "أعدى من الشنفرى"، وهو صاحب لامية العرب.
(معجم الأدياء: 421/1، خزانة الأدب للبغدادي: 2/16، الأعلام: 5/85).

⁵ البيت في ديوانه: 20، وانظره في قطر الندى: 188، وشرح ابن عقيل: 1/176، وهمع الهوامع: 2/30، وشرح ألفية ابن مالك للسيوطي: ص71.

⁶ شرح التسهيل: 206/2 - 210.

⁷ شرح الرضي على الكافية: 201/1.

⁸ الكتاب: 293/1 - 294، وشرح التسهيل: 209/2.

⁹ انظر: الكتاب: 293/1 - 294، وشرح التسهيل: 209/2.

¹⁰ الحجرات: 17/49.

قال أبو حيان في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ما نصه⁽¹⁾: "وقيل (إذ) للتعليل حرفاً بمعنى (أن) أي: لأن ظلمتم، والتعليل مستفاد من اللام المقدره قبلها، وجعلها ابن هشام حرفاً بمعنى اللام، فقال⁽²⁾: "أي: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب؛ لأجل ظلمكم في الدنيا"، ومثلها في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾⁽⁴⁾

وفي تعليق ابن هشام على قول الأعشى⁽⁵⁾:

إِنَّ مَحَلًّا ، وَإِنْ مُرْتَحَلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضُوا مَهَلًا⁽⁶⁾

ومعنى هذا البيت: "أى: إن لنا حلولاً في الدنيا، وإن لنا ارتحالاتها إلى الآخرة، وإن في الجماعة الذين ماتوا قبلنا إمهالاً لنا؛ لأنهم مضوا قبلنا، وبقينا بعدهم، وإنما يصح ذلك كله على القول بأن (إذ) التعليلية حرف كما قدمنا"⁽⁷⁾

المذهب الآخر: أنها ظرف زمان يفيد التعليل، ويفهم هذا من إعراب ابن جني لها في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾، حيث أعربها بدلاً من (اليوم)، وقد علل ذلك بقوله⁽⁸⁾: "ألا ترى أن عدم انتفاعهم بمشاركة أمثالهم لهم في العذاب إنما سببه وعلته ظلمهم، فإذا كان كذلك كان احتياج الجملة إليه نحو من احتياجها إلى المفعول له، نحو قولك: قصدتك رغبة في برك، وأتيتك طمعاً في صلتك، ألا ترى أن معناها: أنكم عدمتم سلوة التأسى بمن شارككم في العذاب؛ لأجل ظلمكم فيما مضى، وقد صحح إعراب (إذ) بدلاً من (اليوم) مع اختلاف الزمانين بما تبين له من مراجعته لأبى على الفارسي، مستشكلاً هذا الإعراب، فأخر ما تحصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان، وأنهما في حكم الله تعالى سواء، فكأن اليوم ماضٍ، وكان (إذ) مستقبلة، وعليه صار ما يقع في الآخرة كأنه واقع في الدنيا؛ ولذلك أجرى اليوم وهو الآخرة مجرى وقت الظلم، وهو قوله: (إذ ظلمتم)، ووقت

¹ البحر: 17/8 .

² مغني اللبيب : 113

³ الكهف: 16/18.

⁴ الأحقاف: 11/46.

⁵ الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، ت 7 هـ . (معجم الأدباء: 456/1، وخرانة البغدادي: 84/1-86، الأعلام: 340/7-341).

⁶ البيت في ديوانه: 283، وانظره في: الكتاب: 141/2، والمقتضب: 130/4، والخصائص: 375/2، والخرانة: 10/452.

⁷ مغني اللبيب: 87/1.

⁸ الخصائص : 175/2 .

الظلم إنما كان في الدنيا⁽¹⁾؛ وذلك لتقارب الزمانين بلا فاصل بينهما حتى صارا كأنهما إنما وقعا في زمان واحد⁽²⁾، أو يُقدَّر الفعل (ثبت) بعد (إذ)، أو تقدر (بعد) قبلها، كما ذكر ابن هشام، فقال: "وقيل المعنى: إذ ثبت ظلمكم، وقيل التقدير: بعد إذ ظلمتم، وعليهما أيضاً فـ"إذ" بدل من اليوم"⁽³⁾.

وبمثل هذا الإعراب أعربها الزمخشري في هذه الآية⁽⁴⁾، وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾، حيث أعربها ظرفاً منصوباً بقوله (فما أغنى) جارياً مجرى التعليل، وعلل ذلك بقوله: "فإن قلت: لم جرى مجرى التعليل؟ قلت: لاستواء مؤدّي التعليل، والظرف في قولك: ضربته لإساءته، وضربته إذ أساء؛ لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه، إلا أن (إذ) و (حيث) غلبتا دون سائر الظروف في ذلك"⁽⁶⁾، وإلى هذا المذهب ذهب قوم منهم الشلوبين، فهي عنده ظرف يفيد التعليل⁽⁷⁾.

ويرى بعضهم أنها ظرف زمان بمعنى وقت، والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ.⁽⁸⁾ يقول الدكتور فخر الدين قباوة⁽⁹⁾: "وزعم جمهور النحاة أن "إذ" التعليلية في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، هي ظرف زمان، والجملة بعدها في محل جر بالإضافة"، يقول أيضاً⁽¹⁰⁾: "والتحقيق أن "إذ" في مثل هذه الآية الكريمة حرف تعليل، لا عمل له، والجملة بعده بحسب موقعها من الكلام، فهي اعتراضية هاهنا، واستئنافية في قول الشنفرى:
وإن مُدَّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكنُ بأعجلهم إذ أجشعُ القومِ أعجلُ⁽¹¹⁾

¹ انظر: السابق : 174/2، ومغني اللبيب: 114 - 115

² الخصائص : 225/3 .

³ مغني اللبيب : 115 .

⁴ الكشاف : 235/4 .

⁵ الأحقاف: 26/46.

⁶ الكشاف: 309/4، البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، 65/8.

⁷ ينظر: الارتشاف: 1404/3، والجنى الداني: 189

⁸ أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: 29.

⁹ إعراب الجمل وأشباه الجمل: 221.

¹⁰ إعراب الجمل وأشباه الجمل: 221، و انظر: التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، الدار التونسية للنشر، ص32، وانظر: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: 30.

¹¹ سبق تخريجه: ص21.

فالشاهد النحوي في البيت أن (إذ) تعليلية.

ومن المعلوم لدينا أن قوة الكلام لا دخل لها في التعليل؛ لأن تعريف التعليل يكمن في "تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر"، فإذا قلنا مثلاً ذاك الطالب؛ لينجح، فإن المذاكرة مؤثر لإثبات الأثر الناتج عنها، وهو النجاح، ولم يتحقق هذا التعليل إلا باللام التي من معانيها التعليل، أما قوة الكلام فإنها تعطي للأسلوب تأكيداً، ولم تعطه تعليلاً، وفرق كبير بين التأكيد والتعليل، ولو أمعنا النظر في تقدير الذين يقولون بظرفية إذ الواقعة للتعليل لرأينا أن في هذا التقدير بُعداً وتكلفاً، وتحميلاً للألفاظ بما لا تحتمل، فقد رأوا أنه إذا قيل: "ضربته إذ أساء" وأريد بـ "إذ" الوقت اقتضى ظاهر الحال أن الإساءة سبب الضرب⁽¹⁾

ويرى د. مكرم أن إذ في هذا المثال تعليلية، وليست ظرفية⁽²⁾، حيث يقول⁽³⁾: "وفي نظري لا داعٍ لتقدير الوقت في هذا المثال؛ لأن إذ قامت مقام لام التعليل، أي ضربته للإساءة، وما دامت تؤدي إذ معنى التعليل فإن المناسب أن تكون حرفاً كلام التعليل".

ويرى الباحث أن الحق فيما ذهب إليه النحاة القائلون بأن إذ تعليلية، والحقيقة أن الدكتور مكرم أجاد وأفاد؛ فقد أقام الحجة حينما فرق بين التعليل والتأكيد، وبين أن التعليل يختلف عن التأكيد، حيث إن التأكيد يتعلق بناحية بلاغية، وهي قوة الكلام، ولها أدواتها الخاصة في البلاغة العربية، كقده، وإن، وغيرهما.

ثم إنه أشار بكلامه إلى أصل نحوي، وهو "ما لا يحتاج إلى تأويل أفضل مما يحتاج إلى تأويل"، فإذا في قولنا: "ضربته إذ أساء" يفهمها العامي قبل المتخصص أنها للتعليل بدليل أنك لو سألته لماذا ضربته؟ فسيجيبك بقوله: ضربته؛ لأنه أساء.

أما تقدير الوقت في قوله ضربته إذ أساء فهذا فيه تكلفٌ نحن في غنى عنه؛ لأننا من خلال الجملة نفهم أنه ضرب بسبب إساءته، وقد يكون ضرب وقت إساءته مباشرة، أو بعدها بفترة قصيرة، أو بعدها بفترة طويلة... فلم تعطِ العبارة وقتاً للضرب؛ وهذا يوضح لنا أن إذ في هذه العبارة لا تخرج عن كونها للتعليل.

ويرى بعض النحاة والمفسرين أن إذ بدل من اليوم في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

¹ مغني اللبيب: 81، وانظر: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: 30.

² انظر: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: 30.

³ السابق: 30.

يقول القرطبي⁽¹⁾ في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾: "إن" إذ" بدل من اليوم، أي يقول الله للكافر لن ينفعكم اليوم إذ أشركتم في الدنيا هذا الكلام، وهو قول الكافر ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾⁽²⁾، أي لا تنفع الندامة اليوم".

ويرى الباحث أن هناك تكلف عند القائلين بأن إذ بدل من اليوم في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾؛ لأن التأويل الصحيح لهذه الآية ولن ينفعكم اليوم قول الواحد منكم لقرينه يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ؛ بسبب ظلمكم، أي: ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم في الدنيا هذا الكلام، وهو كما يقول القرطبي ولن ينفعكم اليوم إذ أشركتم في الدنيا هذا الكلام، فالظلم يطلق على الشرك، كما في قوله تعالى على لسان لقمان الحكيم، وهو يعظ ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

القسم الرابع: أن يكون للمفاجأة، وهذه كما يقول سيبويه تأتي بعد بين المتصلة بألف أو ما زائدتين، ويليهما الموجب، نحو قولك: "بينما أنا كذا إذ جاء زيد"⁽³⁾، ولكن سيبويه لم يحدد معنى إذ حينما تقع للمفاجأة هل هي حرف أم اسم بل سكت إزائها، ولكنه في الوقت نفسه لم يسكت إزاء إذا الفجائية، حيث قرر ظرفيتها عند الحديث عنها، حيث قال⁽⁴⁾: "وأما إذا فلما يستقبل الدهر، وفيها مجازة، وهي ظرف، وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها".

ومن أجل صمت سيبويه عن إبداء راية في إذ التي للمفاجأة هل هي حرف أم اسم؟، احتدم الجدل بين علماء النحو في معناها، فاختلِفَ فيها أهي أسم أم حرف؟ فيرى ابن مالك والرضي وغيرهم من النحويين أنها حرف. يقول ابن مالك⁽⁵⁾: "والمختار عندي الحكم بحرفيتها". ويقول الرضي⁽⁶⁾: "الأولى القول بحرفيه المفاجئة"

¹ الجامع لأحكام القرآن: 91/16.

² الزخرف: 38/43.

³ الكتاب: 232/4

⁴ السابق: 232/4.

⁵ شرح التسهيل 210/2

⁶ شرح الرضي: 199/3، وانظر: شرح التسهيل: 210/2

ويقول في موضع آخر⁽¹⁾: "الأولى القول بحرفية كلمتي المفاجئة، كما هو مذهب ابن برى فالعامل في بينا وبينما ما بعد كلمتي المفاجئة، أو أن نقول إنهما زائدان، وليستا للمفاجأة في جواب بينا وبينما، كما قال الجوهرى وابن قتيبة⁽²⁾."

وجوّز الرضي أن تجيء إذ للمفاجأة في غير جواب بينا وبينما، إذ يقول⁽³⁾: "وقد تجيء إذ للمفاجأة في غير جواب بينا وبينما، نحو قولك: كنت واقفاً إذ جاءني عمرو."

ويرى ابن الشجري أنها حرف جر زائد إذا وقعت بعد بينا و بينما، حيث يقول⁽⁴⁾: "إنها تقع زائدة بعد بينا و بينما خاصة؛ لأنك إذا قلت بينما أنا جالس إذ جاء زيد فقدرتها غير زائدة أعملت فيها الخبر وهي مضافة إلى جملة جاء زيد وهذا الفعل هو الناصب لـ بين؛ فيعمل المضاف إليه فيما قبل المضاف."

وممن قال باسميتها المبرد، وابن جني، وابن البادش، والشلوبين، و أبو حيان الأندلسي. قال الرضي موضعاً رأي المبرد⁽⁵⁾: "فمعنى بينما زيد قائم إذ رأى هنداً، رأى زيداً هنداً بين أوقات قيامه في ذلك المكان، أي في مكان قيامه". نلاحظ أن الجديد في قول المبرد أن إذ للظرفية المكانية، وليست للظرفية الزمانية بخلاف ما قاله النحويون.

يقول السيوطي⁽⁶⁾: "وعلى القول بالظرفية قال ابن جني وابن البادش عاملها الفعل الذي بعدها؛ لأنها غير مضافة إليه، وعامل بينا و بينما محذوف يفسره الفعل المذكور". ويقول ابن البادش⁽⁷⁾: "إذ مضافة للجملة فلا يعمل فيها الفعل، ولا في بينا، وبينما؛ لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا فيما قبله، وإنما عاملها محذوف يدل عليه الكلام". ويقول أبو حيان الأندلسي⁽⁸⁾: "فالذي نختاره أنها باقية على ظرفيتها الزمانية".

¹ شرح الرضي: 199/3.

² أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو جعفر، قاضٍ، من أهل بغداد، له اشتغال بالأدب والكتابة، كان يحفظ كتب أبيه وهي احد عشر كتابا في غريب القرآن والحديث والأدب والأخبار، توفي بمصر سنة 322هـ . (إنباه الرواة: 143/2-147، طبقات المفسرين (للداودي): 103/1، طبقات النحويين: 183، بغية الوعاة: 264/2، الأعلام: 156/1)

³ شرح الرضي: 200/3.

⁴ همع الهوامع: 131/2.

⁵ شرح الرضي: 198/3.

⁶ همع الهوامع: 130/2.

⁷ السابق: 130/2.

⁸ ارتشاف الضرب: 1405/3.

ويرجح د. عبد العال سالم مكرم رأي القائلين بحرفية إذ الفجائية, ويعلل ترجيحه هذا بأن معنى المفاجئة هو نفسه معنى الاستقبال, والاستقبال يُؤدَّى بحرفي السين وسوف, وهو كـمعنى التعليل, والتعليل حرف يُؤدى معناه باللام, فلمَ لا يكون معنى المفاجأة يُؤدى بإذ؛ فيكون حرفاً كغيرها؟! (1)

ويرى الباحث أن الحق فيما ذهب إليه القائلون بحرفية "إذ" الفجائية.

¹ أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: ص 37.

المبحث الثاني "إذا" بناؤها واستعمالاتها

أولاً: سبب بنائها

إذا ظرف مبني على السكون، وقد اجتهد النحويون في بيان سبب بناء (إذا)، حيث بينوا أن الذي أوجب لها البناء هو شبهها بالموصولات، وتنزلها منزلة بعض الاسم، وكذلك إبهامها في المستقبل، وافتقارها إلى جملة بعدها توضيحاً وتبينها، وهي العلة ذاتها التي بني لأجلها إذ، أضف إلى ذلك علة أخرى، وهي أنها أداة شرط متضمنة معنى الجزاء.⁽¹⁾

يقول ابن يعيش: "وأما إذا فهي اسم من أسماء الزمان أيضاً، ومعناها المستقبل، وهي مبنية؛ لإبهامها في المستقبل، وافتقارها إلى جملة بعدها توضيحاً و تبيينها كما كانت الموصولات"⁽²⁾

كذلك ما ذكرنا في إذ مضافاً ذلك إلى ما فيها من معنى الشرط، فبنيت كبناء أدوات الشرط، وسُكُنَ آخرها؛ لأنه لم يلتقِ فيه ساكنان، ولما تضمنه من معنى الجزاء لم يقع بعدها الا في الفعل، نحو، آتيتك إذا احمرَّ البسر، وإذا يقوم زيد"⁽³⁾ والحقيقة أن علة بناء (إذا) مشابهتها الحرف فقط.

وقد وقع بين النحاة خلاف في جواز إضافتها إلى الجملة الاسمية، فمن النحاة من يجيز إضافتها إلى الجملة الاسمية، ومنهم من لا يجيز ذلك، حيث ذهب سيبويه، والمبرد، والسيوطي إلى أن (إذا) لا تضاف إلا للجملة الفعلية، ولا تُضاف إلى الجملة الاسمية على الإطلاق، في حين أجاز الأخفش، والكوفيين إضافتها إلى الجملة الاسمية، ويقول الأخفش أخذ ابن مالك، فعلى مذهب سيبويه لا يصح أن تقول: "أجيتك إذا زيد قائم"، وأما قولك: "أجيتك إذا زيد قائم" فجائز، وزيد ليس مرفوعاً على الابتداء، بل مرفوع بفعل محذوف يفسره المذكور بعده، ولكن الأخفش والكوفيون، ومعهم ابن مالك جوزوا كونه مبتدأ خبره الفعل الذي يليه.⁽⁴⁾

ويرى المبرد أن (إذا)، وما في معناه من الظروف يجب أن يضاف إلى الأفعال، فقولك: أجيتك إذا يقوم زيد، هو تماماً مثل قولك: أجيتك يوم يقوم زيد؛ لذلك يُمتنع أن تقول: أجيتك إذا زيد قائم، ويوم زيد قائم.⁽⁵⁾

¹ شرح المفصل: 96/4، وانظر: شرح التسهيل: 210/2، ارتشاف الضرب: 1402/3، همع الهوامع: 127/2.

² شرح المفصل: 96/4.

³ السابق: 96/4.

⁴ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 61/2.

⁵ المقتضب: 348/4.

يقول المبرد⁽¹⁾: "وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾⁽²⁾, وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾⁽³⁾, معناه: إذا انشقت السماء, ولولا هذا الفعل لم يصلح أن يقع بعد (إذا)؛ لما فيها من معنى الجزاء, فعلى هذا تقول: آتيتك يوم يقوم زيد, ولا يجوز: آتيتك يوم زيداً منطلق, قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾⁽⁴⁾, وقال أيضاً: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾⁽⁵⁾."

يقول ابن مالك⁽⁶⁾: "ولا يليها عند سيبويه إلا فعل ومعمول فعل, فإذا كان اسماً مرفوعاً وجب عنده أن يُرفع بفعل مقدر موافق لفعل ظاهر بعده, كقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾⁽¹⁾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾⁽⁷⁾, فالشمس مرفوع بكورت مضمراً, والنجوم مرفوع بانكدرت مضمراً, وكذا ما أشبهها, ولا يجيز سيبويه غير ذلك, واختار الأخفش ما أوجبه سيبويه, وأجاز جعل المرفوع بعد (إذا) مبتدأ, وبقوله أقول."

ويرى السيرافي أنه لا يوجد خلاف بين سيبويه والأخفش في جواز وقوع المبتدأ بعد (إذا), وإنما الخلاف بينهما في خبره؛ فسيبويه يُوجب أن يكون فعلاً, والأخفش يجوز أن يكون اسماً, فيجوز في قولك: "أجيتك إذا زيداً قام" جعل "زيداً" مبتدأ عند سيبويه, ويجوز في قولك: "أجيتك إذا زيداً قائم" عند الأخفش فقط.⁽⁸⁾

والحقيقة أن ما ذهب إليه السيرافي من أن كلاً من سيبويه والأخفش يجيزان وقوع المبتدأ بعد (إذا) كلام غير دقيق؛ لأن (إذا) عند سيبويه لا يليها إلا فعل ظاهر, أو مقدر, فإذا كان اسماً مرفوعاً لا يعربه سيبويه مبتدأ؛ لأن هذا الاسم فاعل لفعل محذوف وجوباً يفسره المذكور بعده, فسيبويه لا يعرب زيداً في قولك: "أجيتك إذا زيداً قام" مبتدأ, بل يعربه فاعل لفعل محذوف وجوباً يفسره المذكور بعده.

¹ المقتضب: 348/4.

² الانفطار: 1/82.

³ الانشقاق: 1/84.

⁴ المائدة: 5/119.

⁵ المرسلات: 35/77.

⁶ شرح التسهيل: 140/2-141.

⁷ التكوير: 1/81-2.

⁸ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 61/2.

يقول سيبويه⁽¹⁾: "وجملة هذا الباب أن الزمان إذا كان ماضياً أُضيف إلى الفعل, وإلى الابتداء والخبر؛ لأنه في معنى (إذ), فأُضيف إلى ما يُضاف إليه (إذ), وإذا كان لما لم يقع لم يُضف إلا إلى الأفعال؛ لأنه في معنى (إذا), و(إذا) هذه لا تُضاف إلا إلى الأفعال".
هذا ويرى الباحث أن ما ذهب إليه سيبويه هو الحق الذي يجب أن يتبع ويُتحدث به.
وقد زعم الفراء أن (إذا) إذا كان فيها معنى الشرط لا يليها إلا الفعل الماضي, أما المضارع لا يليها.⁽²⁾

ولقد ردَّ عليه السيوطي بقوله⁽³⁾: "والحقيقة أن إذا الشرطية يليها الماضي, ويليه المضارع أيضاً, وقد اجتمعا في قول الشاعر⁽⁴⁾:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقَنَّعُ⁽⁵⁾

ثانياً: استعمالات إذا

لـ "إذا" استعملان فقط, فقد ترد وتكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان, وقد تتضمن معنى الشرط, وقد لا تتضمنه, وهذه تُسمى (إذا) الظرفية, وقد تستعمل للمفاجأة, وهذه تُسمى (إذا) الفجائية.

أولاً: (إذا) الظرفية

وعندها تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان, ففي مثل هذه الحالة قد تكون متضمنة لمعنى الشرط؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾⁽⁶⁾, وقوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَرَدَتْ﴾⁽⁷⁾, وقد لا تكون كذلك, فإذا كانت متضمنة لمعنى الشرط فهي تختص بالدخول على الجملة الفعلية وتحتاج لجواب.⁽⁸⁾

فـ (إذا) في الأمثلة السابقة ظرفية شرطية, ففي المثال الأول جاء فعلها ظاهراً وهو (جاء), بينما في المثال الثاني وقع بعد (إذا) اسم, فالمتبادر إلى الذهن أن (إذا) في هذا المثال قد أُضيفت إلى جملة إسمية, ولكن الأمر خلاف ذلك؛ لأن (إذا) في هذا المثال مضافة إلى جملة فعلية فعلها محذوف

¹ الكتاب: 460/1.

² همع الهوامع: 133/2.

³ السابق: 133/2.

⁴ البيت لأبي ذؤيب الهذلي, وقد سبقت ترجمته.

⁵ انظر البيت في: الدرر: 102/3, ومغني اللبيب: 93/1, همع الهوامع: 133/2.

⁶ غافر: 78/40.

⁷ التكوير: 2-1/81.

⁸ انظر: مغني اللبيب: 97.

وجوباً يفسره المذكور، فعلى ذلك يكون التقدير: إذا كُورَت الشمس كُورَت، وإذا انكدرت النجوم انكدرت.

فإذا ورد ما يوهم أنها مضافة إلى جملة اسمية فلا بد من أن يُقَدَّر للاسم في الجملة فعل محذوف يفسره الفعل المذكور (الظاهر)، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾⁽¹⁾، فالتقدير: إذا انفطرت السماء انفطرت، حيث تُعَرَّب كلمة " السماء " فاعلاً لفعل محذوف وجوباً يفسره المذكور بعده، وهي تماماً مثل إن الشرطية، فإن وإذا الشرطيتان إذا ورد ما يوهم أنهما داخلتان على جملة اسمية فلا بد من أن يُقَدَّر للاسم في الجملة فعل محذوف يفسره المذكور، وجوابها يكون واحداً مما يأتي:

1. فعلاً، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ﴾⁽²⁾
2. جملةً اسميةً مقرونةً بالفاء، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾⁽³⁾
3. جملةً فعليةً طلبيةً، نحو قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾⁽⁴⁾
4. جملةً اسميةً مقرونةً بإذا الفجائية، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾⁽⁵⁾

ومذهب سيبويه أن إذا لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر؛ فالظاهر، نحو، قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، والمقدر، نحو، قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾، ولا يجوز غير ذلك، حيث يقول⁽⁶⁾: "وأما "إذا" فلما يستقبل من الدهر، وفيها مجازاة وهي الظرف".
ويذهب كلٌّ من الأخفش⁽⁷⁾، وابن مالك⁽⁸⁾ مذهب سيبويه إلا أن الأخفش يُعرب المرفوع بعد إذا مبتدأ، حيث يقول ابن مالك⁽⁹⁾: "ولا يليها عند سيبويه إلا فعل ومعمول فعل..... ولا يجوز سيبويه

¹ الانفطار: 1/82.

² غافر: 78/40.

³ المدثر: 8/74-9.

⁴ النصر: 3/110.

⁵ الروم: 25/30.

⁶ الكتاب: 232/4.

⁷ معاني القرآن: 101/2.

⁸ شرح التسهيل: 213/2.

⁹ السابق: 213/2.

غير ذلك، واختار الأخفش ما أوجبه سيبويه، وأجاز مع ذلك جعل المرفوع بعد إذا مبتدأ، وبقوله أقول".

ولكن الصحيح أنه إذا ورد بعدها ما يوهم أنها مضافة إلي جملة اسمية فلا بد من أن يُقَدَّر للاسم في الجملة فعل محذوف يفسره المذكور بعده، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾⁽¹⁾، فالتقدير: إذا انفطرت السماء انفطرت.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل تخرج إذا عن الظرفية فتعرب مبتدأ، وخبراً، ومفعولاً به، وغير ذلك من الأوجه الإعرابية؟

ذهب قوم من النحاة إلى أنها تخرج عن الظرفية، ومنهم الأخفش، وابن هشام، حيث قال الأخفش في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾⁽²⁾ أن إذا جر بحتي⁽³⁾.

يقول ابن هشام في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾⁽⁴⁾ الآية فيمن نصب خافضة رافعة أن إذا الأولى مبتدأ، والثانية خبر، والمنصوبان حالان، وكذا جملة ليس ومعمولاهما، والمعنى: وقت وقوع الواقعة خافضة لقوم رافعة لآخرين هو وقت رج الأرض⁽⁵⁾.

و يقول زياد أبو رجائي⁽⁶⁾: "والجمهور أنكروا خروجها عن الظرفية وقالوا في الآية الأولى⁽⁷⁾ إن حتى حرف ابتداء داخل على الجملة بأسرها ولا عمل له، وفي الثانية⁽⁸⁾ أن إذا الثانية بدل من الأولى، والأولى ظرف، وجوابها محذوف؛ لفهم المعنى، وحسنه طول الكلام؛ وتقديره بعد إذا الثانية: أي انقسمتم أقساماً، وكنتم أزواجاً ثلاثة"، وقال أيضاً⁽⁹⁾: "وقد تخرج عن الاستقبال فتدرد للحال، نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾⁽¹⁰⁾، فإن الغشيان مقارن الليل، وقوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا

¹ الانفطار: 1/82.

² الزمر: 74/39.

³ معاني القرآن: 101/2.

⁴ الواقعة: 1/56.

⁵ مغني اللبيب: 98.

⁶ مدلولات (إن) و (إذا) و (إن)، زياد أبو رجائي، <http://almenhaj.net/makal.php?linkid=73>،

⁷ قوله تعالى: "حتى إذا جاءوها".

⁸ قوله تعالى: "إذا وقعت الواقعة".

⁹ مدلولات (إن) و (إذا) و (إن)، زياد أبو رجائي، <http://almenhaj.net/makal.php?linkid=73>،

¹⁰ الليل: 1/92.

تجلى ﴿⁽¹⁾﴾ وقوله: ﴿والنجم إذا هوى﴾ ⁽²⁾، وللماضي نحو قوله: ﴿وإذا رأوا تجارة أولهوا﴾ ⁽³⁾ الآية، فإن الآية نزلت بعد الرؤية والانفضاض، وكذا قوله تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ ⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾ ⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ ⁽⁶⁾.

وقال أيضاً ⁽⁷⁾: "وقد تخرج عن الشرطية، نحو، قوله: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ ⁽⁸⁾، وقوله أيضاً: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ ⁽⁹⁾، فإذا في الآية ظرف لخبر المبتدأ بعدها، ولو كانت شرطية والجملة الاسمية جواباً لاقتترنت بالفاء، وقال بعضهم: إنه على تقديرها مردود بأنها لا تحذف إلا لضرورة، وقول آخر: إن الضمير توكيد لا مبتدأ، أو أنما بعده الجواب تعسف، وقول آخر: جوابها محذوف مدلول عليه بالجملة بعدها تكلف من غير ضرورة."

ويرى الباحث أن الحق فيما ذهب إليه جمهور النحاة، ويعضد رأيهم ويقويه آراء المفسرين. واستدل القائلون بأن إذا تخرج عن الظرفية بأدلة لا تصلح أن تكون شواهد على صحة ما ذهبوا إليه، وسأعرض بإذن الله تعالى بعرض هذه الوجوه:

1. تقع مفعولاً به:

وممن قال بذلك ابن مالك ⁽¹⁰⁾، حيث قال إنها وقعت مفعولاً به، واستدل بما لا دليل فيه وهو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لعائشة - رضي الله عنها -: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غاضبة" ⁽¹¹⁾

¹ الليل: 2/92.

² النجم: 1/53.

³ الجمعة: 11/62.

⁴ التوبة: 9/92.

⁵ الكهف: 18/90.

⁶ الكهف: 18/96.

⁷ مدلولات (إذ) و (إذا) و (إن)، زياد أبو رجائي، <http://almenhaj.net/makal.php?linkid=73>

⁸ الشورى: 42/37.

⁹ 39/42

¹⁰ شرح التسهيل: 2/210، وانظر: همع الهوامع: 131/2-132، وارتشاف الضرب: 1408.

¹¹ رواه البخاري في كتاب النكاح (باب غيرة النساء ووجدهن، حديث رقم 5228، ومسلم في فضائل الصحابة (حديث رقم 80).

2. تقع بدلاً:

مثلوا له بقول الشاعر:

وبعد غدٍ يا لهف نفسي من غدٍ إذا راح أصحابي ولست برائح⁽¹⁾

على أن إذا في موضع جر بدلاً من غدٍ، ومنهم من يعد "إذا" في قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾⁽²⁾ بدلاً من إذا في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾⁽³⁾ (4)

3, 4. تقع مبتدأ وخبراً:

يرى ابن مالك⁽⁵⁾ أنها وقعت مبتدأ في قوله تعالى: "إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ"، والخبر "إذا" الثانية وهي "إذا" في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾⁽⁶⁾، وقوله ﴿خَافِضَةً رَافِعَةً﴾⁽⁷⁾ على قراءة من قرأهما بالنصب أنهما حالان، والمعنى وقت وقوع الواقعة، خافضة لقوم، رافعة لآخرين، هو وقت رج الأرض.

5. تقع مجرورة: وهو رأي ابن جني والأخفش وابن مالك.

ويرى السيوطي⁽⁸⁾: "أنها مجرورة بحتى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾⁽⁹⁾، في حين يرى الزمخشري أن الجملة أو الجمل المحكية بعدها هي التي تكون مجرورة بحتى، حيث يقول⁽¹⁰⁾: "وذلك في تفسيره للآية: "حَتَّىٰ هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلا أن جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه صفة ثواب أهل الجنة، فدلّ بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف". وهذا مذهب النسفي⁽¹¹⁾.

¹ يُنسب هذا البيت إلى أبي الطمّاح شرقي بن حنظله، كما نسب إلى هدبة بن خشرم، وهو في مغني اللبيب: ص104.

² الواقعة: 4/56.

³ الواقعة: 1.

⁴ انظر: مغني اللبيب: 98.

⁵ انظر: مغني اللبيب: 98-99، همع الهوامع: 132/2.

⁶ الواقعة: 4/56.

⁷ الواقعة: 3/56.

⁸ همع الهوامع: 132/2.

⁹ الزمر: 73/39.

¹⁰ الكشف: 150/4.

¹¹ انظر: تفسير النسفي: 64/4.

ويرى أبو حيان أن جواب إذا غير محذوف: والتقدير: حتى إذا جاؤوها وفتحت أي: فتحت.⁽¹⁾ وجمهور النحاة على غير ذلك، والرأي لديهم أن إذا لا تخرج عن الظرفية، ودحضوا الأمثلة السابقة بقولهم إن حتى في نحو قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا﴾ حرف ابتداء دخل على الجملة بأسرها ولا عمل له، وأما "إذا وقعت الواقعة" فإن الثانية بدل من الأولى، والأولى ظرف، وجوابها محذوف لفهم المعنى، وتقديره بعد إذا الثانية، أي انقسمتم أقساماً، وكنتم أزواجا ثلاثة، وأما إذا في البيت السابق فظرف للهدف، وأما إذا في الحديث الشريف فهي ظرف لمحذوف، وهو مفعول أعلم.⁽²⁾ والحقيقة أن (إذا) لا تخرج عن الظرفية.

وفي ناصب (إذا) قولان⁽³⁾

أحدهما: أنه شرطها وعليه المحققون من النحاة. ثانيهما: أنه ما في جوابها من فعل وشبهه؛ لما تقدم من أنها ملازمة للإضافة إلى شرطها، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف.

ثانياً: (إذا) الفجائية

تقع (إذا) للمفاجأة؛ فتكون حرفاً، وتختص بالجملة الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ويكون معناها (الحال) دون الاستقبال، نحو قولك: "خرجت أبحت عنه فإذا هو واقف أمام المنزل" أو "خرجت فإذا خالد بالباب"، فتكون الجملة بعد (إذا) جملة اسمية من مبتدأ وخبر.⁽⁴⁾ يقول سيبويه⁽⁵⁾: "وتكون (يعني (إذا) الفجائية) للشيء توافقه في حال أنت فيها".

من خلال كلام سيبويه يتبين لنا أن (إذا) الفجائية تكون للحاضر فقط، فلا تكون للمستقبل أبداً، ويقول ابن هشام⁽⁶⁾: "وتقول خرجت فإذا زيد جالس أو جالساً فجالس مرفوع على الخبرية، وجالساً منصوب على الحالية".

أما الضمير الواقع بعد (إذا) مباشرة فيُعرب توكيداً لفاعل الفعل المحذوف وجوباً المفسر بما بعده، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصَبِّهُم سِنَّةً بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾⁽⁷⁾

¹ البحر المحيط: 287/5.

² انظر: مغني اللبيب: ص 98، همع الهوامع: 132/2.

³ همع الهوامع: 133/2 - 134.

⁴ انظر: مغني اللبيب: 93، وهمع الهوامع: 134/2.

⁵ الكتاب: 311/2.

⁶ مغني اللبيب: 93.

⁷ الروم: 36/30.

فالضمير المنفصل "هم" في الآية السابقة يُعرب توكيداً لفاعل الفعل المحذوف - واو الجماعة - وجوباً المفسر بما بعده.

والفعل لا يقع بعد "إذا" الفجائية مطلقاً إلا إذا اقترن بقد، نحو، خرجت فإذا قد نزل المطر، كما أن الباء الحرف الزائد قد يدخل على المبتدأ بعدها فيكون مرفوعاً بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، نحو، خرجت فإذا بالمطر نازل، كما أنها تقوم مقام فاء الربط شريطة ألا تكون مسبوقة بأداة نفي، نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿ وَإِنْ تَصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْتُلُونَ ﴾⁽²⁾، فـ (إذا) في ذلك نائبة مناب الفاء في ربط الجواب بالشرط، وليست الفاء مقدرةً قبلها؛ لأنها لو كانت مقدرة لم يُمتنع التصريح بها.⁽³⁾

مما سبق يتضح لنا أن عبارات المفسرين تدل على أن (إذا) الفجائية قد تقع بعد الجملة الفعلية، وتدخل على الجملة الإسمية.

ويرى الزمخشري أنها قد تجتمع مع الفاء؛ فتعاونان في وصل فعل الشرط بالجواب⁽⁴⁾.

ويرى ابن عاشور أن (إذا) الفجائية تفيد ما تفيد فاء التعقيب التي يؤتى بها لربط جواب الشرط بشرطه، وهي تدل على السرعة مثلها مثل فاء التعقيب، وليس مثل (ثم) التي تدل على الترتيب مع التراخي، حيث يقول⁽⁵⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾⁽⁶⁾: "وإذا في قوله : إذا لهم مكر للمفاجأة، وهي رابطة لجواب إذا الشرطية؛ لوقوعه جملة اسمية، وهي لا تصلح للاتصال بإذا الشرطية، التي تلازمها الأفعال إن وقعت ظرفاً، ثم إن وقعت شرطاً فلا تصلح؛ لأن تكون جواباً لها، فلذلك أدخل على جملة الجواب حرف إذا الفجائية؛ لأن حرف المفاجأة يدل على البدار والإسراع بمضمون الجملة، فيفيد مفاد فاء التعقيب التي يؤتى بها لربط جواب الشرط بشرطه، فإذا جاء حرف المفاجأة أغنى عنها".

¹ الروم:25/30.

² الروم:36/30.

³ الجنى الداني:376.

⁴ الكشاف:135/3.

⁵ التحرير والتنوير، لسماحة الأستاذ: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، د.ط، د.ت، 11/133.

⁶ يونس:21/10.

قال ابن الحاجب⁽¹⁾: "ومعنى المفاجأة حضور الشيء معك في وصف من أوصافك الفعلية، فتختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج لجواب ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال، نحو قوله تعالى: ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾⁽⁴⁾.

واختلف في إذا هذه على أقوال، وهي⁽⁵⁾:

1. قيل أنها حرف، وعليه الكوفيون، والأخفش، وابن بري، وابن الحاجب، وابن مالك، حيث يقول⁽⁶⁾: "وروي عن الأخفش أنها حرف دال على المفاجأة، وهو الصحيح عندي".

ولقد أيد ابن مالك ذلك بشدة، وليس ذلك فحسب، بل نجده متسلطاً، شديد اللهجة على من قال بظرفيتها، معتبراً القول بظرفيتها عيب شنيع، وجريمة نكراء، حيث يقول⁽⁷⁾: "فتعين الاعتراف بثبوت الحرفية، وانتفاء الظرفية"، ولقد استدل على صحة مذهبه بثمانية أوجه ذكرها في شرح التسهيل بالتفصيل⁽⁸⁾.

يقول الرضي⁽⁹⁾: "والأولى القول بحرفية كلمتي المفاجأة، كما هو مذهب ابن بري".

ومن وجهة نظري أنها اسم؛ بدليل وقوعها خبراً مع مباشرتها الفعل، نحو، النجاح إذا ذاكرنا دروسنا، وتقع بدلا نحو، المقابلة غداً إذا تطلع الشمس".

والكوفيون يجوزون نحو، خرجت فإذا زيد القائم بنصب القائم، على أن زيدا مرفوع بالظرف، كما في نحو، في الدار زيد؛ لأن (إذا) المفاجأة عندهم ظرف مكان، أما نصب القائم، فقالوا لأن (إذا) المفاجأة تدل على معنى وجدت؛ فتعمل عمله؛ لأن معنى مفاجأتك الشيء: وجدانك له فجأة، فالتقدير: خرجت فوجدت زيدا القائم، والقائم ثاني مفعوليه؛ ومنه قول الكسائي في المناظرة التي جرت بينه وبين سيبويه في مثل قولهم: "كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو

¹ شرح الرضي على الكافية: 201/1.

² طه: 20/20.

³ يونس: 23/10.

⁴ الروم: 36/30.

⁵ انظر: شرح التسهيل: 214/2، و همع الهوامع: 134/2.

⁶ شرح التسهيل: 214/2.

⁷ السابق: 143.

⁸ انظر: شرح التسهيل: 142/2-143.

⁹ شرح الرضي على الكافية: 199/2.

إياها"⁽¹⁾: لا يجوز إلا إياها، وقال سيبويه: لا يجوز إلا: فإذا هو ؛ لأن (إذا) المفاجأة يجب الابتداء بعدها.⁽²⁾

وقد شنع الزجاجي على الكوفيين مذهبهم مشبهاً (إذا) عندهم بالنعامة التي قيل لها احملني؛ فقالت أنا طائر، وقيل لها طيري؛ فقالت: أنا جمل، ثم قال إن إذا إن كانت عندهم كسائر الظروف لزمهم أن يرفعوا بعدها اسماً واحداً، وإن أعملوها عمل "وجدت"، طالبناهم بفاعل ومفعولين؛ وقال أيضاً: بل يجوز فإذا عمرو قائماً، على أن (إذا) خبر، و(قائماً) حال، أي: فبالمكان عمرو قائماً، وأما مع المعرفة؛ فلا يجوز عند البصريين إلا الرفع على أنه خبر.⁽³⁾

يقصد الزجاج أنه لا يجوز أن نجعل (إذ) كـ (وجد)؛ لأن وجد من أفعال المنح والعطاء التي تنصب مفعولين، ولا نستطيع أن نشابه (إذا) بها.
2. وقيل ظرف مكان، وعليه المبرد، وابن جني، و أبو علي الفارسي، والعكبري، وابن الخياط⁽⁴⁾، والطبرسي⁽⁵⁾، والسيوطي، وعُزي ذلك إلى سيبويه.
وقد رجح ابن عصفور ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني.⁽⁶⁾ (7).

يقول المبرد⁽⁸⁾: "وأما (إذا) التي تقع للمفاجأة فهي التي تسد مسد الخبر، والاسم بعدها مبتدأ، وذلك قولك: "جنتك فإذا زيد، وكلمتك فإذا أخوك، وهذه تُغني عن الفاء، وتكون جواباً للجزاء، نحو:

¹ يشير بهذا إلى المسألة الزنبورية.

² شرح الرضي على الكافية: 194/2.

³ السابق: 194/2.

⁴ هو أبو بكر يحيى بن أحمد المعروف بابن الخياط، طبيب، رياضي، مهندس وفلكي، من علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري، مال إلى أحكام النجوم؛ فبرع فيها، تُوفي بطليطلة سنة 447 هـ. (وفيات الأعيان: 5/612، طبقات الزبيدي: 117).

⁵ هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، يُلقب بأمين الإسلام، وهو منسوب إلى بلدة طبرس بإيران، أديب بارع ومفسر، وفقهه، أخذ العلم عن الطوسي، والرازي، والسيد أبو طالب الجرجاني... وغيرهم، وله = مؤلفات عديدة، منها التفسير الكبير وهو المسمى بـ (مجمع البيان في تفسير القرآن)، توفي عام 552 هـ. (بغية الوعاة: 216، طبقات الزبيدي: 86، إنباه الرواة: 308/1).

⁶ هو علي بن مؤمن الأشبيلي، نشأ بأشبيلية، وأخذ عن علمائها، توفي 609 هـ. (بغية الوعاة: 137/2، إنباه الرواة: 3/86).

⁷ انظر: شرح الرضي على الكافية: 199/2-200.

⁸ المقتضب: 178/3.

إِنْ تَأْتِيَنِي إِذَا أَنَا أَفْرَحُ، عَلَى حَدِّ قَوْلِكَ: فَأَنَا أَفْرَحُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّهِمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾⁽¹⁾.

ويقول أيضاً⁽²⁾: "وتقول: خرجت من الدار فإذا زيد، فمعنى (إذا) ها هنا للمفاجأة، فلو قلت على هذا: خرجت فإذا زيد جالساً كان جيداً".

يقول العكبري⁽³⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾⁽⁴⁾: "(إذا) هنا للمفاجأة، فهي مكان"، وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾⁽⁵⁾: "فإذا حبالهم" الفاء جواب ما حذف، وتقديره: فألقوا، وإذا في هذا ظرف مكان، والعامل فيه ألقوا".

ويقول أبو حيان⁽⁶⁾ معلقاً على كلام العكبري: "وإذا في هذا ظرف مكان" يعني أن "إذا" التي للمفاجأة ظرف مكان، وهو مذهب المبرد، وظاهر كلام سيبويه".

ويقول الطبرسي في توجيه الآية السابقة⁽⁷⁾: "و(إذا) هذه ظرف مكان، وتسمى ظرف المفاجأة"، ويقول السيوطي⁽⁸⁾: "فإذا قلت: خرجت فإذا زيد، صحَّ كونها خبراً على المكان، أي: فبالحضرة زيد وليس على الزمان؛ ولأنه لا يُخبر به عن الجئة، ولا على الحرف؛ لأنه لا يخبر به".

3. وقيل ظرف زمان، وعليه الرياشي، والزجاج، وابن خروف⁽⁹⁾، ورجحه الزمخشري حيث يقول الزمخشري⁽¹⁰⁾ في تفسيره لقوله تعالى على لسان موسى - عليه السلام -: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ

وَعِصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾⁽¹¹⁾: "يُقال في (إذا) هذه: إذا المفاجأة، والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت، الطالبة ناصباً لها، وجملة تُضاف إليها، خُصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً، وهو فعل المفاجأة، والجملة ابتدائية لا غير.

¹ الروم: 36/30.

² المقتضب: 274/3.

³ التبيان: 1010/2.

⁴ النمل: 45/27.

⁵ طه: 66/20.

⁶ البحر المحيط: 240/6.

⁷ المجمع: 135/8.

⁸ همع الهوامع: 134/2.

⁹ على بن محمد بن عبد على بن محمد، ابن خروف الأندلسي، وكان إماماً في العربية، محققاً، وكتب شرحاً لكتاب سيبويه، أهداه إلى حاكم الغرب فأعطاه ألف دينار، توفي 609 هـ. (إنباه الرواة: 192/4، بغية الوعاة: 588/1).

¹⁰ الكشف: 93/4.

¹¹ طه: 66/20.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الزمخشري يرى أن (إذا) الفجائية ظرفية زمانية. وقد فند أبو حيان قول الزمخشري، حيث قال⁽¹⁾: "وقوله: 'إنها زمانية' مرجوح، وهو مذهب الرياشي، 'الطالبة ناصباً' صحيح، وقوله: 'جملة تُضاف إليها' ليس صحيحاً عند بعض أصحابنا؛ لأنها إما أن تكون هي خبراً لمبتدأ محذوف، وإذا كان كذلك استحال أن تُضاف إلى الجملة؛ لأنها: إما أن تكون بعضَ الجملة، أو معمولة لبعضها فلا يمكن الإضافة، ... وقوله: 'والجملة بعدها ابتدائية لا غير' هذا حصر غير صحيح، بل قد جَوَّز الأخفش، ونص على أن الجملة الفعلية المقترنة بـ "قد" تقع بعدها، نحو، خرجت فإذا زيدٌ قد ضربه عمرو، برفع زيد ونصبه على الاشتغال". يقول د. محمد عبد الخالق عزيمة⁽²⁾: "أجاز الرضي أن تكون (إذا) الفجائية ظرف زمان بدلا من لما".

العامل في إذا الفجائية

ذهب الزمخشري إلى أن العامل في "إذا" الفجائية فعلٌ مُقدَّرٌ مشتقٌّ من لفظ المفاجأة، حيث قال الزمخشري⁽³⁾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾⁽⁴⁾: "و"إذا" للمفاجأة، وتقديره: ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض، وقال⁽⁵⁾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾⁽⁶⁾: "فإن قلت: كيف جاز أن تُجاب 'لما' بـ 'إذا' المفاجأة؟، قلت: لأن فعل المفاجأة معها مقدر، وهو عامل النصب في محلها، كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم"، وقال⁽⁷⁾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾⁽⁸⁾: "ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم، وهذا تمثيل، والمعنى: على مفاجأته حبالهم مخيلةً إليه السعي".

وقد اعترض كلُّ من ابن هشام الأنصاري، وأبي حيان على الزمخشري، وبيننا أن ما قاله لم يقل به أحدٌ من النحاة، حيث يقول ابن هشام⁽⁹⁾: "وزعم الزمخشري أن عاملها فعل مقدر مشتق من

¹ البحر المحيط: 259/6.

² دراسات لأسلوب القرآن: 216/1.

³ الكشاف: 571/4.

⁴ الروم: 20/30.

⁵ الكشاف: 446/5-447.

⁶ الزخرف: 47/43.

⁷ الكشاف: 93/4.

⁸ طه: 66/20.

⁹ مغني اللبيب: 92/1.

لفظ المفاجأة، قال في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (1) الآية: إن التقدير إذا دعاكم فاجأتكم الخروج في ذلك الوقت. ولا يُعرف هذا لغيره".

يقول أبو حيان (2): "وما ادَّعاه الزمخشري من إضمار فعل المفاجأة لم ينطق به أحد، ولا في موضع واحد، ثم المفاجأة التي ادعاها لا يدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق، بل المعنى يدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذي فيه (إذا) تقول: خرجت فإذا الأسد، وليس المعنى ففاجأت الأسد".

ويقول أيضاً (3): "ولا نعلم نحوياً ذهب إلى ما ذهب إليه هذا الرجل، من أن "إذا" الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر، تقديره: فاجأ، بل هي منصوبة بالخبر على ما تقدم تقديره، وليست مضافة إلى الجملة كما سبق، ثم عن المفاجأة التي ادعاها لا يدل المعنى على أنها لا تكون من الكلام الذي فيه "إذا"، تقول: خرجت فإذا الأسد، فالمعنى: ففاجأتني الأسد، وليس المعنى: ففاجأت الأسد".

كذلك اختلف المفسرون في تقدير عامل (إذا) الفجائية في هذه الآية:

أ. أن العامل فيه فعل محذوف تقديره: ألقوا.

وقد نقل أبو حيان عن أبي البقاء العكبري تقديره العامل في "أذا" الفجائية فعلاً محذوفاً، وجعل الآية على معنى: بل ألقوا، فألقوا فإذا، حيث قال (4): "والتقدير: فألقوا فإذا، و"إذا" في هذا ظرف مكان، والعامل فيه ألقوا".

وقد رد أبو حيان هذا التوجيه معللاً ذلك بأن الفاء تمنع من عمل ما قبلها فيما بعدها (5)

وأجاز الرضي أن تكون (إذا) الفجائية ظرف زمان بدلاً من (لما) وعاملها الجملة بعدها وهي ليست مضافة إليها. (6)

ب. يرى كل من ابن جنبي، والمبرد أن العامل هو الفعل، حيث نقل ابن هشام عن ابن جنبي قوله (7): "وعاملها (يقصد إذا الفجائية) الفعل الذي بعدها؛ لأنها غير مضافة إليه".

¹ الروم: 25/30.

² البحر المحيط: 20/8.

³ البحر المحيط: 20/8.

⁴ البحر المحيط: 240/6.

⁵ السابق: 240/6.

⁶ شرح الرضي: 107/2.

⁷ مغني اللبيب: 88.

يقول المبرد⁽¹⁾: "واعلم أن المفعول إذا وقع في هذا الموضع وقد شغل الفعل عنه انتصب بالفعل المضمر؛ لأن الذي بعده تفسير له...، وذلك في قولك: "إن زيداً تره تكرمه...، وكذلك "إذا"؛ لأنها لا تقع إلا على الفعل".

ج. يرى أبو حيان أن العامل فيها هو خبر المبتدأ "حبالهم".

أما الفرق بين إذا الفجائية وإذا الشرطية فهو على النحو الآتي:⁽²⁾

أ. إذا الشرطية لا يأتي بعدها إلا جملة فعلية، ولا يأتي بعد الفجائية إلا جملة اسمية.

ب. إذا الشرطية تحتاج إلى جواب، ولا تحتاجه "إذا" الفجائية.

ج. إذا الشرطية تخلص المعنى للاستقبال و"إذا" الفجائية تكون للحاضر فقط.

د. تكون الجملة الفعلية بعد "إذا" الشرطية في محل جر بالإضافة، ولا محل لها من الإعراب بعد

إذا الفجائية.

هـ. تأتي "إذا" الشرطية في أول الكلام، ولا تنصدره "إذا" الفجائية. وقد جمعت هذه الفروق في هذه

الآبيات:

الْفَرْقُ بَيْنَ (إِذَا) لَشَرْطٍ وَالتِّي	لِفَجَاءَةٍ مِنْ أَوْجِهٍ لَا تُجْهَلُ
طَلَبُ التِّي لِلشَّرْطِ فَعَلًا بَعْدَهَا	وَجَوَابَهَا، وَأَتَتْ لِمَا يُسْتَقْبَلُ
وَتُضَافُ لِلْجُمَلِ التِّي مِنْ بَعْدَهَا	وَتَكُونُ فِي صَدْرِ الْمَقَالَةِ أَوَّلُ

وأيضاً فإن (إذا) الفجائية قد تقع جواباً لـ (إذا) الشرطية، نحو، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا

النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾⁽³⁾

وكما استعملت "إذ" بمعنى "إذا" كما أسلفت عند حديثي عن إذ، كذلك استعملت "إذا" بمعنى

"إذ"، حيث يقول ابن مالك⁽⁴⁾: "وقد يراد بها المضي فتقع موقع إذ، كقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى

الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ 91 ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ

مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾⁽⁶⁾.

¹ المقتضب: 74/2.

² انظر: الجنى الداني: 373-374.

³ يونس: 21/10.

⁴ شرح التسهيل: 212/2.

⁵ التوبة: 91/9-92.

⁶ الجمعة: 11/62.

ومع ذلك نجد أبا الأعلى المودودي لا يرجح هذا الرأي، حيث يقول المرادي⁽¹⁾: "الوجه الثالث: أن تكون ظرفاً لما مضى من الزمان واقعة موقع "إذ"، كقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ ذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَأَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾⁽³⁾، وإذا في هذا و نحوه بمعنى إذ ، هذا هو مذهب النحويين، وبه قال ابن مالك... والذي صححه المغاربة أن إذا لا تقع موقع إذ، ولا إذ موقعها وتأولوا ما يوهم ذلك".

(إذ) و(إذا) الزائدتان

وآخر قضية أريد أن أدرسها في هذا الدراسة حول إذ و إذا هي قضية وقوع إذ وإذا زائدتين في القرآن الكريم، بمعنى هل تقعان زائدتين في القرآن الكريم؟

هي قضية أثارها الإمام أبو عبيدة، ولم يقل بها أحدٌ من النحاة حاشا أبا عبيدة، فهو بهذا القول يخالف النحاة؛ ولذا كان يحسن بنا أن نتطرق لهذه القضية لاسيما أن دراستنا تتعلق بـ (إذ)، و(إذا) و (حيث) في القرآن الكريم، فكل ما قيل من قضايا نحوية حول هذه الأسماء في القرآن نوره في هذا البحث - إن شاء الله تعالى- ؛ حتى يستوي هذا البحث على سوقه ويؤتي أكله بإذن ربه - تبارك وتعالى-.

لو نظرنا في كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة فإننا نجده يذكر أغلب الآيات التي فيها "إذ" أو "إذا" أن هاتين الأداتين زائدتان، مع ما لتلك الأداتين من دلالة كما مر معنا في هذا البحث.

وأول ما يطالعنا من ذلك "إذ" في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، حيث يقول⁽⁴⁾: "معناه قلنا للملائكة، وإذ من حروف الزوائد"، وقاس على ذلك قول الشاعر⁽⁵⁾:
فإذا وذلك لا مهاه لذكركه **والدهر يُعقبُ صالحاً بفساد⁽⁶⁾**

¹ الجني الداني: 362-363.

² التوبة: 9/92.

³ الجمعة: 62/11.

⁴ مجاز القرآن، لأبي عبيدة: 36/1-37، دراسات نقدية في التفسير والحديث، د.كاسد الزبيدي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ودار المشرق الثقافي، عمان، ط2006م، ص: 107.

⁵ الأسود بن يعفر، هو الأسود بن يعفر النهشلي التميمي، أبو نهشل، وأبو الجراح، شاعر جاهلي، من سادات تميم، ومن أهل العراق، كان فصيحاً جواداً، ولما أسن كف بصره، ويقال له أعشى بني نهشل، ت22 ق.هـ. (الشعر والشعراء: 78، خزنة الأدب 1/ 195، الأعلام: 1/195).

⁶ انظر: البيت في لسان العرب: 13/541، أساس البلاغة: 1/454.

حيث قال أبو عبيدة⁽¹⁾: "ومعناه وذلك لا مهاه لذكره: لا طعم, ولا فضل, مع أن إذا هنا ظرفية".
واستشهد أيضاً ببيت عبد مناف الهذلي⁽²⁾, والذي يقول فيه:

حتى إذا أسلكوهم في قُتائِدَةٍ شلاً كما تطرد الجمالة الشرداً⁽³⁾

وعدّ إذا في هذا البيت زائدة, حيث قال⁽⁴⁾: "معناه: حتى أسلكوهم".

والحقيقة أنه لا يوجد موجب للقول بزيادة إذا في هذا البيت؛ إذ قد تكون مرادة بدلالاتها الظرفية التي تفيد الاستقبال, ويكون جوابها محذوفاً, أو هو يرد كذلك في الكلام.⁽⁵⁾

وقد أثارت مقولة أبي عبيدة بزيادة إذ وإذا في القرآن الكريم ردوداً لدى النحاة, والمفسرين, وأصحاب المعاني, كالزجاج, والطبري, والنحاس, حيث يرى الزجاج أن هذا إقدام من أبي عبيدة؛ لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تحري الحق, وإذا معناها الوقت, وهي اسم, فكيف يكون لغواً ومعناها الوقت⁽⁶⁾

وقد انتهى مشكل زيادة "إذ" و"إذا" الذي أثاره أبو عبيدة بتقدير النحاة فعلا عاملا فيها, فقدر الزجاج في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽⁷⁾ ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة, وأما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾⁽⁸⁾ فقد قال الزجاج⁽⁹⁾: "موضع إذ نصب, كأنه قال واذكروا إذ نجيناكم من آل فرعون".

أما الإمام الطبري فقد كانت حجته في رده قوية؛ إذ بناها على ما للقرآن من خصوصية في التعبير, حيث بين أنه لا يجوز لأحد القول إن في كتاب الله حرفاً زائداً لا معنى له, حيث يقول⁽¹⁰⁾: "وقد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له, فأغنى ذلك عن إعادة

¹ مجاز القرآن: 8/1.

² عبد مناف بن ربح الجربي الهذلي, شاعر جاهلي, نسبته إلى جرير (كفرش), وهو بطن من هذيل. (خزانة الأدب: 174/3, الأعلام: 166/4).

³ انظر: البيت في لسان العرب: 226/3, همع الهوامع: 182/3, خزانة الأدب: 37/7.

⁴ مجاز القرآن: 8/1.

⁵ انظر: دراسات نقدية في التفسير والحديث: ص 107.

⁶ السابق: ص 107.

⁷ البقرة: 30/2.

⁸ البقرة: 49/2.

⁹ معاني القرآن وإعرابه: 130/1.

¹⁰ جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي, أبو جعفر الطبري (310هـ), تحقيق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, 400/2.

البيان على فساد قول من زعم أن "الواو" و "الفاء" من قوله: (أو كلما) و (أفكلما) زائدتان لا معنى لهما".

ونقل ابن منظور عن أبي إسحاق قوله⁽¹⁾: "هذا أقدم من أبي عبيدة؛ لأن القرآن العزيز ينبغي أن لا يُتكلّم فيه إلا بغاية تحري الحق".

ولم تسلم (إذ) في موضعها الأخرى من التنزيل من قول أبي عبيدة بزيادتها كما في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾⁽²⁾, وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾, فقد رأى فيها (إذ) زائدة, على حين حملها المفسرون, وأصحاب المعاني الآخرون على الظرفية, ومنهم الأخفش الأوسط, والمبرد, والزجاج, والطبري, والزمخشري, وغيرهم, وحكى الزجاج ذلك عن الأخفش, وشيخه المبرد, مبينا أن المعنى عندهم أنكروا إذ قالت امرأة عمران.⁽³⁾

يقول الزجاج⁽⁴⁾: "قال أبو عبيدة: معناه قالت امرأة عمران, و"إذ" لغو, وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾⁽⁵⁾ قال معناه: "وقالت: ولم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئاً, وقد قال جميع النحويين إن "إذ" يدل على ما مضى من الوقت, فكيف يكون الدليل على ما مضى من الوقت, وهي اسم مع ما بعدها, وقال غير أبي عبيدة منهم أبو الحسن الأخفش, وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد إن المعنى: اذكروا إذ قالت امرأة عمران".

ويقول أيضاً⁽⁶⁾: "والمعنى عندي - والله اعلم - غير ما ذهب إليه هذه الجماعة, وإنما العامل في "إذ" قالت" معنى الاصطفاء, والمعنى: واصطفى آل عمران إذ قالت امرأة عمران ربي إني نذرت لك ما في بطني محرراً, و اصطفاهم إذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك, فذكر اصطفاك يدل على ما وصفنا, ومعنى نذرت: يدل على ما وصفنا".

ومع أن الزجاج لم يجعل العامل في (إذ) خارجاً عن النص في التقدير, في مثل قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾⁽⁷⁾ بل جعله مستتباً من معنى الآية وهو هنا الاصطفاء, إلا أنه لم يبين سائر النحاة في أن (إذ) مراد مع ما قد يبدو على تقديره من تكلف.⁽⁸⁾

¹ لسان العرب: 104/1. مادة (أذذ), وانظر: دراسات نقدية في التفسير والحديث: ص108

² المائدة: 116/5.

³ معاني القرآن وإعرابه: 400/1, وانظر: دراسات نقدية في التفسير والحديث: ص108.

⁴ معاني القرآن وإعرابه: 400/1.

⁵ آل عمران: 42/3.

⁶ معاني القرآن وإعرابه: 400/1-401.

⁷ سبق تخريجها.

⁸ دراسات نقدية في التفسير والحديث: ص109.

وبذلك غدا ما ذهب إليه أبو عبيده من القول بزيادة هذين الاسمين الدالين على الظرفية في وقتين متباينين قولاً شاردًا، بعيداً عن واقع اللغة، لا مسوغ له، ولم يقل به احد من النحاة، أو يقبل القول به، فهذا من أوهامه في كتابه.⁽¹⁾

¹ دراسات نقدية في التفسير والحديث:ص109.

المبحث الثالث

(حيث) بناؤها واستعمالاتها

حيث من الظروف المبنية على الضم، وهي من الظروف المكانية التي يندر تجردها عن الظرفية، ومن ورودها ظرفاً قوله تعالى: ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾⁽¹⁾، فهي في هذه الآية تُعرب ظرف مكان مبنياً على الضم في محل نصب مفعول فيه، وهذا مذهب جمهور النحاة. قال سيبويه⁽²⁾: "وأما حيث فمكان، بمنزلة قولك هو في المكان الذي فيه زيد".

ومن أقوى الشواهد على دلالتها على الزمان قول الشاعر:

حيثما تستقم يقدر لك الله
نجاحاً في غابر الأزمان⁽³⁾

وقول الفرزدق:

ويطعنهم تحت الحبا بعد ضربهم
بييض المواضي حيث لي العمائم⁽⁴⁾.

أما خروجها عن الظرفية ففي قوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتَهُمْ﴾⁽⁵⁾، ولا يجازى بحيث كما جوزي بأخواتها، من نحو، أين، وأنى، من حيث كانت مضافة إلى الجملة بعدها، والإضافة موضحة مخصصة، والجزاء يقتضي الإبهام؛ فيتناهى معنى الإضافة، والجزاء، فلم يجمع بينها، فإذا أريد الجزاء أتى معها بما يقطعها عن الإضافة، ويصير الفعل بعدها مجزوماً بعد أن كان مجروراً الموضع، فألحقت بـ"ما" الزائدة؛ فصارت اسم شرط يجزم فعلين نحو، حيثما تذهب أذهب، ونحو قول الشاعر:

جَزَاكَ اللهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنٍ
وَحَيْثَمَا يَقْضُ أَمْرًا صَالِحًا يَكُنْ.⁽⁶⁾

فجازى بحيثما، وجزم بها فعلين، يقض (و) يكن.

ومن الجدير ذكره أن حيث لا تصح بعد دخول (ما) عليها حرفاً كما صارت (إذا) عند سيبويه حرفاً بدخول ما عليها؛ وذلك لقوة (حيث)، وكثرة مواضعها وتشعب لغاتها.⁽⁷⁾

¹ الحجر: 65/15.

² الكتاب: 233/3.

³ البيت من الخفيف وهو بلا نسبة في خزنة الأدب 20/7، شذور الذهب: ص337.

⁴ البيت بلا نسبة في مغني اللبيب: 177/1، وأوضح المسالك: 125/3، همع الهوامع: 152/2، خزنة الأدب.

⁵ البقرة: 191/2.

⁶ هذا البيت لا يُعرف قائله، أنظر: الظرف وخصائصه وتوظيفه النحوي، متولي أحمد الأشرم، ط2، ص: 235.

⁷ الظروف في ديوان الأعشى: 216.

وحيث من الظروف الملازمة للإضافة إلى الجملة، ولكن يبيح فريق من النحاة إضافتها للمفرد مع بقائها مبنية على الضم، ودليلهم أن الأمثلة المسموعة الدالة على إضافتها للمفرد أمثلة فصيحة، وأنها على قلتها كافية للقياس عليها؛ لأنها قلة نسبية، وليست قلة ذاتية، ولا داع عندهم لتأويل هذه الأمثلة، ومن الأمثلة قولك: أنا مقيم حيث الهدوء. ومن أقوى الأدلة عندهم على إضافتها للمفرد قول الشاعر:

أما ترى حيث سهيل طالعاً⁽¹⁾

ويرى الباحث أن الالتزام بما ورد عن العرب هو الحق الذي يجب إتباعه؛ لأنهم أهل اللغة وعندهم أخذت، ويجب علينا ألا نتحدث بما ورد شذوذاً، وهناك اعتراض أيضاً على القائلين بعدم وجود داعٍ للتأويل، فمثلاً حينما أقول: "أنا مقيم حيث الهدوء" فالتأويل: أنا مقيم حيث الهدوء موجود، أو حيث يكون الهدوء، والجملة بعد حيث مجرورة بإضافة حيث إليها، ولا نقول أن المفرد مجرور بإضافة حيث إليه.

أولاً: علة بناء حيث:

لقد تراوحت أقوال العرب في علة بناء حيث بعكس إذ وإذا؛ لأنهما لم يبنيا إلا على السكون، ولم يرد فيهما بناء على ضم ولا فتح؛ حيث إنه لم يرد للعرب فيهما لغاتٌ بعكس حيث، حيث ورد فيها أربع لغات، حيث بالضم، وحيث بالفتح، وحيث، وحيث. يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي⁽²⁾: "حيث، حوث، للعرب في حيث لغتان، واللغة العالية حيث، الثاء مضمومة، وهو أداة للرفع يرفع الاسم بعده، ولغة أخرى: حوث رواية عن العرب لبني تميم، قال⁽³⁾:"

ولكن قذاها واحد لا نريد أتتنا بها الغيطان من حوث لا ندرى⁽⁴⁾

ويقول ابن فارس⁽⁵⁾: "الحاء والياء والياء ليست أصلاً؛ لأنها كلمة موضوعة لكل مكان، وهي مبهمة، تقول: أقعد حيث شئت، وتكون مضمومة، وحكى الكسائي فيها الفتح أيضاً".

¹ البيت من الرجز وهو بلا نسبة في خزنة الأدب: 3/7، ومغني اللبيب: 133/2.

² كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، 285/3.

³ البيت للأخطل، وهو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة التغلبي الوائلي، ويكنى أبا مالك، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل، نظم الشعر صغيراً، ورشحه كعب بن جعيل ليهجو الأنصار، فهجاهم وتعززت صلته ببني أمية بعد ذلك، فقربه يزيد، برع الأخطل في المدح والهجاء ووصف الخمر، توفي في السبعين من عمره سنة 92هـ، وقد مات على دينه. (الأغاني: 280/8، الشعر والشعراء: 189، خزنة البغدادي: 221-219/1).

⁴ ديوان الأخطل، لأبي مالك غياث بن غوث التغلبي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م، ص486.

⁵ معجم مقاييس اللغة: 212/2.

وقد نقل الأزهرى عن الليث ما نصه: "للعرب في حيث لغتان، واللغة العالية حيث، بالثناء مضمومة، وهو أداة للرفع ترفع الاسم بعده. ولغة أخرى حوث رواية عن العرب لبنى تميم يظنون حيث في موضع نصب، يقولون : ألقه حيث لقيته⁰ ونحو ذلك كذلك".⁽¹⁾

فالأزهرى يروى لنا لغتين في حيث، الأولى بالياء، والثانية بالواو (حوث).
وقد نسب بعض اللغويين الكلمة بالواو إلى طيئ، وتردد ابن منظور فى نسبتها فقال :
"حوث لغة فى حيث، إما لغة طيئ، وإما لغة تميم".
ونلاحظ اضطراباً فى نسبة اللغة إلى طيئ أو تميم.

وحيث من حروف المواضع لا من حروف المعاني، وإنما ضُمَّتْ لأنها ضُمَّتْ الاسم الذي كانت تسحقُ إضافتها إليه ... وقال بعضهم: إنما ضُمَّتْ لأن أصلها حَوْتُ، فلما قلبوا واوها ياءً ضموا آخرها.⁽²⁾

ومما تخطئ به العامة، والخاصة أنهم يجعلون حين مثل حيث، حيث نقل الأزهرى عن الأصمعي قوله⁽³⁾: "رأيت في كتاب سيبويه شيئاً كثيراً يجعل حين حيث، وكذلك في كتاب أبو عبيدة بخره".

قال أبو حاتم⁽⁴⁾: "واعلم أن حيثُ، وحينَ ظرفان، فحينَ ظرف من ظروف الزمان، وحيثُ ظرف من ظروف المكان، ولكل واحدٍ منهما حدٌ لا يجاوزه، والأكثر من الناس جعلوهما معاً حيثُ، والصواب أن تقول: رأيتك حيثُ كنت، أي الموضع الذي كنت فيه، واذهب حيثُ شئت، أي إلى أي موضع شئت، وقد قال الله جل وعز: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾⁽⁵⁾.

ويقال: رأيتك حينَ خرَجَ الحاجُّ، أي في ذلك الوقت، فهذا ظرف من الزمان، ولا يجوز حيثُ خرَجَ الحاجُّ، وتقول: انْتَبَيْ حينَ يقدم الحاجُّ، ولا يجوز حيثُ يقدم ، وقد صيّر الناسُ هذا كله

¹ تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي (370هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية، مصر الجديدة، ط1964م، 210/5 (حوث).

² السابق: 210/5.

³ السابق: 210/5.

⁴ هو الإمام العلامة أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان السجستاني النحوي اللغوي، أخذ عن عدد كبير من العلماء، منهم، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ويعقوب الحضرمي، وقرأ عليه القرآن، وعنه أخذ أبو داود السجستاني، وعدد من العلماء، ت250هـ. (انباه الرواة: 58/2، بغية الوعاة: 606/1، طبقات المفسرين (الداودي): 210/1-211).

⁵ الأعراف: 19/7.

حيثُ، فليتعهد الرجلُ كلامه، فإذا كان موضعُ يحسنُ فيه أينَ، وأي موضعٍ فهو حيثُ؛ لأن أين معناه حيثُ⁽¹⁾

وأنا لم أرد الوقوف على كلام اللغويين حول لغات العرب في حيث في بحثي هذا، إنما أحببت أن أُشير بسرعة⁽²⁾.

ولذلك فإن أقوال النحويين تواردت بكثرة في علة بناء حيث، سواءً أكان هذا البناء على الضم أم على الفتح؛ مع أن الراجح بناؤها على الضم، ولكنها وردت عن العرب بالفتح، والكسر؛ ولذلك فإننا ملزمون بما يجب الالتزام به، ألا وهو الأخذ بما ورد عن العرب، فاللغة لغتهم، وهم أهل الفصاحة والبيان، ومع الإشارة هنا إلى أن حيث لم ترد في القرآن إلا مبنية على الضم إلا أن بعض النحاة يبنونها على الفتح، وبعضهم يبنوها على الكسر.

وهو ظرف مكان ملازم للبناء، والأكثر بناؤها على الضم تشبيهاً لها بقبل وبعد؛ لأن أثرها وهو الجر لا يظهر.

يقول المبرد⁽³⁾: "فمن جعل حيث مضمومة - وهو أجود القولين - فإنما ألحقها بالغايات، نحو من قبلُ ومن بعدُ...".

ويقول السيوطي⁽⁴⁾ "من الظروف المبنية "حيث"، وعلة بنائها شبهها بالحروف في الافتقار؛ إذ لا تستعمل إلا مضافة إلى جملة، وبنيت على الضم تشبيهاً بقبل وبعد؛ لأن الإضافة إلى الجملة كلا إضافة؛ لأن أثرها وهو الجر لا يظهر، ومن العرب من بناها على الفتح طلباً للتخفيف، ومنهم من بناها على الكسر على أصل التقاء الساكنين، ولغة طيئٍ إبدال يائها واواً، فيقولون: حوث، وفي

¹ تهذيب اللغة: 210/5.

² راجع لغات العرب في حيث: (كتاب العين، للخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، نشر وزارة الثقافة، د. ط، د. ت، الكتاب: 292/3، المقتضب: 178/3، لسان العرب، لابن منظور (711هـ)، دار صادر، بيروت، ط 1، 1994، 140\2، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، 166/1، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991م، 123/3، ومغني اللبيب: 140، شرح التسهيل: ص 920، أمالي ابن الشجري: 599/2، واللباب في علل البناء وقواعد الإعراب: 77/2، و شرح المفصل: 90/4-91، همع الهوامع: 152/2، وارتشاف الضرب: 1448، والأصول في النحو: أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 3، 1988، 143/2.

³ المقتضب: 178/3.

⁴ همع الهوامع: 152/2.

ثالثاً أيضاً الحركات الثلاث، ولغة فقّس إعرابها، يقولون: جلست حيث كنت، وجئت من حيث جئت، فيجرّونها بـ (من)، وهي عندهم كـ (عند)".

ونقل ابن منظور عن ابن سيّدة أن علة بناء حيث على الضم هو المنع من التقاء ساكنين، حيث يقول ابن سيّدة⁽¹⁾: "حيث بنيت على الضم؛ منعا لالتقاء الساكنين، واختير لها الضم ليُشعر ذلك بان أصلها الواو؛ وذلك لان الضمة مجانسة للواو".

ويقول ابن الشجري⁽²⁾: "ومنهم من بناها على الضم، وهي لغة التنزيل؛ وذلك أن إضافتها إلى الجملة لا اعتداد بها؛ لأن حق الظرف المكاني أن يضاف إلى المفرد، فلما عدت الإضافة التي يستحقها ظرف المكان صارت إضافتها كلا إضافة؛ فأشبهت الغايات التي استحققت البناء على الضم؛ لقطعها عن الإضافة".

ويقول الرضي⁽³⁾: "بني حيث على الضم؛ لأنه موضوع لمكان حدثٍ تتضمنه الجملة؛ فشابه الموصولات في احتياجه إلى الجمل" ويقول في موضع آخر⁽⁴⁾: "وبُني حيث على الضم في الأشهر تشبيهاً بالغايات"

وأما من بناه على الفتح فلأنه عنده يشبه ظرف المكان (أين)، و(كيف)، حيث يقول سيّويه⁽⁵⁾: "فأما ما كان غاية نحو، قبل، وبعد، وحيث، فإنهم يحرّكونه بالضمة، وقد قال بعضهم حيث، شبهوه بأين".

ويقول المبرد⁽⁶⁾: "ومن فتح فللياء التي قبل آخره، وأنه ظرف بمنزلة (أين)، و (كيف)".

ويقول ابن السراج⁽⁷⁾: "وأما (حيث) فإن من العرب من يبنّيها على الضم، ومنهم من يبنّيها على الفتح، ولم تجيء إلا مضافةً إلى جملةٍ نحو قولك: أقوم حيث زيد يقوم، وأصلي حيث يصلي، فالحركة التي في الثاء لالتقاء الساكنين، فمن فتح من أجل الياء التي قبلها، وفتح استتقالاً للكسر، ومن ضم فتشبيهاً بالغايات؛ إذ كانت لا تُضاف إلى واحد، ومعناها الإضافة، وكان الأصل فيها أن تقول: قمت حيث زيدٌ كما تقول: قمت مكان زيد".

¹ لسان العرب: 140\2.

² أمالي ابن الشجري: 599/2.

³ شرح الرضي على الكافية: 420/2.

⁴ انظر: السابق: 182/2.

⁵ - الكتاب: 233/3.

⁶ المقتضب: 178/3.

⁷ الأصول في النحو: 143/2.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن ابن السراج يرى أن علة بناء حيث على الضم تكمن في أمرين:

1. شبهها بالموصولات (الغايات).
2. لا يُضاف من ظروف الأمكنة إلى جملة إلا حيث، فلما خالفت جميع ظروف الأمكنة بنيت. وبهذا القول قال ابن يعيش، إلا أنه أضاف أمراً ثالثاً، وهو إنها تقع على الجهات الست⁽¹⁾

مما سبق يتبين لنا أن علة بناء حيث تكمن في أمور عدة، وهي على النحو الآتي:

1. شبهها بالموصولات
2. شبهها، بقبل، وبعد حين تُقطع عن الإضافة لفظاً لا معنىً.
3. تفردا عن سائر ظروف الأمكنة؛ وذلك لأنها تضاف إلى الجملة.
4. إنها تقع على الجهات الست.

ويرى الباحث أن هناك اعتراضاً على من قال بأن تفردا عن سائر ظروف الأمكنة جعلها مبنية بأن هذا ليس شرطاً للبناء، فهناك ظروفُ زمان تضاف إلى الجملة، ومع ذلك فهي ليست مبنية.

ويرى الباحث أن العلة الرئيسة لبناء حيث مشابهتها للحرف، وما قيل غيرها من اجتهاد النحاة.

ثانياً: استعمالات حيث

تكاد تجمع آراء النحاة على أن حيث ظرف مكان.

يقول سيبويه⁽²⁾: "وأما حيث فمكان بمنزلة قولك هو في المكان الذي فيه زيد"

ويقول ابن فارس⁽³⁾: "الحاء، والياء، والثاء ليست أصلاً؛ لأنها كلمة موضوعة لكل مكان، وهي مبهمة، تقول: أقعد حيث شئت، وتكون مضمومة، وحكى الكسائي فيها الفتح أيضاً".

ويقول ابن منظور⁽⁴⁾: "حيث وهو ظرف مبهم من الأمكنة".

وغير ذلك من كتب اللغة والنحو التي ورد فيها أن حيث ظرف مكان، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل ترد حيث ظرفاً للزمان مثلما ترد ظرف مكان؟

ومع أن آراء النحويين تكاد تُجمع على أن حيث ظرف مكان، إلا أن هناك القليل منهم يرى أنها ترد للزمان، ومن القائلين بوردها للزمان الأخفش.

¹ انظر: شرح المفصل: 91/4.

² الكتاب: 233/4.

³ مقاييس اللغة، احمد بن زكريا بن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ط1979، 122/2.

⁴ لسان العرب: 411/3.

يقول العكبري⁽¹⁾: "وحيث ظرف مكان بإجماع النحاة، وقال الأخفش بأنها تكون زماناً أيضاً مستندلاً على ذلك بقول طرفة بن العبد⁽²⁾:

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ⁽³⁾

أي مدة حياته، وهذا غير لازم، إذ يمكن أن يكون المعنى في أي مكان كان"

وعلى درب الأخفش سار ابن هشام، حيث يقول بورودها للزمان، حيث يقول⁽⁴⁾: "هي للمكان اتفاقاً، قال الأخفش: وقد ترد للزمان... وإذا اتصلت بها ما الكافة ضمنت معنى الشرط، وجرمت الفعلين كقوله:

حَيْثُ مَا تَسْتَقِمُ يُقَدَّرُ لَكَ اللَّهُ نَجَاحاً فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ

وهذا البيت دليل عندي على مجيئها للزمان".

وقد بينت سابقاً أن هذا البيت يُعدُّ عندهم من أقوى الأدلة على ورودها للزمان.

لقد وردت حيث ظرف مكان بكثرة، ووردت أيضاً ظرف زمان، ولكن ذلك كان قليلاً، وأحياناً يشكل الأمر؛ حيث إن السياق يجعل بعضهم يقدرها ظرف مكان، والآخر يقدرها ظرف زمان، فتحتمل المعنيين.

ومن الشواهد التي وردت فيها حيث دالة على المكان قول عروة الصعاليك⁽⁵⁾:

وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ تُبْتَغَى مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ أْبَرَ وَ شَمَّرَا⁽⁶⁾

وقول المرار بن منقذ⁽⁷⁾:

¹ اللباب في علل البناء والإعراب: 77/2.

² هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى، كان هجاءً، غير فاحش القول. تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره، ت 60 ق هـ. (معجم الأدباء: 493/3، والشعر والشعراء: 49، ومعاهد التنصيص 364/1، وخزانة البغدادي 414/1، الأعلام: 225/3).

³ ديوان طرفة: 56/1.

⁴ مغني اللبيب: 177-178.

⁵ هو عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان: من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. قال عبد الملك بن مروان: من قال إن حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد، ت 30 قبل الهجرة. (معجم الأدباء: 140/4، والشعر والشعراء: 260، الأعلام: 277/4).

⁶ ديوان عروة بن الورد: 77/1.

⁷ هو زياد بن منقذ بن عبد بن عمرو ابن صدي بن مالك بن زيد مناة بن تميم، من شعراء الدولة الأموية. كان معاصراً للفرزدق وجرير، ت 100 هـ. (معاهد التنصيص: 333/1، والأغاني طبعة الدار: 1/3، ونهاية الأرب: 59/3، والشعر والشعراء: 38، وخزانة البغدادي: 1/287 و 427).

أَنَا مِنْ خَنْدَفٍ فِي صُيَايَهَا
فَهِيَ هَيْفَاءُ هَضِيمٍ كَشْحُهَا

حَيْثُ طَابَ الْقَبْضُ مِنْهُ وَكَثُرُ
فَخَمَةٌ حَيْثُ يَشُدُّ الْمُؤْتَزِرُ⁽¹⁾.

ومن الشواهد التي وردت فيها حيث دالة على الزمان قول ذي الإصبع العدواني⁽²⁾
يَا عَمْرُو إِلَّا تَدَعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي⁽³⁾.

وهي هنا بمعنى حتى تقول الهامة اسقوني، أو إلى أن تقول الهامة اسقوني.

ومنها قول عبد يغوث بن وقاص الحارث⁽⁴⁾:

وقد كنت نحار الجزور و معمل الـ مطي وأمضي حيث لا خلق ماضيا⁽⁵⁾

ومن الأمثلة على احتمالها المكان والزمان قوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾⁽⁶⁾.

يقول القرطبي⁽⁷⁾ في تفسير لهذه الآية الكريمة: "وهذا يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي؛ ليكون ذلك دلالة على نبوته؛ لأن الله خلقهم خلقا لا يرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم، وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم".

ويقول الزمخشري⁽⁸⁾: "إنه يراكم هو تعليل للنهي⁽⁹⁾، وتحذير من فتنته؛ بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدهم، ويغتالكم من حيث لا تشعرون... وأن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن أظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم".

¹ الحماسة البصرية: 42/1، المفضليات: 12/1.

² حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة، من عدوان، ينتهي نسبه إلى مضر، شاعر جاهلي، حكيم، شجاع، لقب بذي الإصبع؛ لأن حية نهشت إصبع رجله؛ ففقطعتها، ويقال: كانت له إصبع زائدة، عاش طويلاً حتى عُد في المعمرين، ت22ق.هـ. (الأغاني: 173/2، والشعر والشعراء: 270).

³ ديوان ذي الإصبع: 60، معجم الأدياء: 541/3.

⁴ هو عبد يغوث بن الحرث بن وقاص بن صلاة بن المعقل، واسمه ربيعة، شاعر جاهلي، فارس، سيد لقومه بني الحرث بن كعب، وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم أُسر فقتل، وهو من أهل بيت معرق في الشعر في الجاهلية والإسلام. (خزانة الأدب: 313-317، طبقات النحويين: 187/4).

⁵ الخزانة 313-317/1، والأغاني: 72/15، وشعراء الجاهلية: 78-79.

⁶ الأعراف: 27/7.

⁷ الجامع لأحكام القرآن: 187/7.

⁸ الكشاف: 463/2.

⁹ يقصد النهي الوارد في الآية السابقة، وهو قوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ" (الأعراف: 26/7).

ومن ذلك قول الشاعر:

حيثما تستقم يُقدِّر لك الله
نجاحاً في غابر الأزمان

قال ابن يعيش (1): "وقوله للفتى عقلٌ يعيش به يريد أن من كان عاقلاً ذا بصرٍ وتدبيرٍ، متصرفاً في الأمور استطاع أن يعيش حيثما نقلته قدمه وذهبت به".
ثم يقول (2): "والشاهد في البيت مجيء حيث بمعنى الحين أي ظرف زمان".
ويرى الباحث أن حيث في هذا البيت محتملة للمكان والزمان؛ لأن التقدير عندي: للفتى عقل يعيش به في كل زمان يحيا فيه، وكل مكان يعيش فيه.
ويرى د. فخر الدين قباوة أن حيثما في قول الشاعر:

حيثما تستقم يُقدِّر لك الله
نجاحاً في غابر الأزمان

تصلح لأن تكون ظرف زمان، كما أنها ظرف مكان، حيث يقول (3): "وأما حيثما فاسم شرط جازم يدل على المكان، وقد يدل على الزمان".
ويرى الشيخ مصطفى الغلاييني أنها ظرف مكان، حيث يقول (4): "حيثما، وهي اسم مكان تضمن معنى الشرط، ولا تجزم إلا مقترنة بما، على الصحيح، كقول الشاعر

حيثما تستقم يُقدِّر لك الله
نجاحاً في غابر الأزمان

ويرى الباحث أنها في هذا البيت تدل على المكان والزمان بصفة متساوية، والتقدير عندي في دلالتها على المكان: في كل مكان تستقيم فيه يجعل الله لك رزقاً ونجاحاً فيه.
وأما دلالتها على الزمان: في أي وقت تستقيم فيه يكون هذا الوقت مباركاً وحافلاً بالنجاح.
فكلاهما سبب ونتيجة فالنجاح نتيجة للاستقامة، والاستقامة تسبب النجاح، قال تعالى على لسان نوح - عليه السلام - : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (5)

¹ شرح المفصل: 91/4.

² السابق: 91/4.

³ إعراب الجمل وأشباه الجمل: ص 222.

⁴ جامع الدروس العربية: 62/3.

⁵ نوح: 10-12.

خروج "حيث" عن الظرفية

ذهب ابن هشام أن حيث تخرج عن الظرفية، فتقع خبراً، ومفعولاً به، وغير ذلك من المواقع:

1. تقع خبراً:

يقول ابن هشام⁽¹⁾:

إن حيث استقر من أنت راعيه حمى فيه عزة وأمان⁽²⁾

لجواز تقدير حيث خبراً، وحمى اسماً، فإن قيل يؤدي إلى جعل المكان حالاً في المكان، قلنا هو نظير قولك إن في مكة دار زيد، ونظيره في الزمان قولك إن في يوم الجمعة ساعة الإجابة.

2. تقع مفعولاً به:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁽³⁾

فالمعنى أنه تعالى يعلم المكان نفسه المستحق لوضع الرسالة فيه، لا شيئاً في المكان، وناصبها يعلم محذوفاً، مدلولاً عليه بأعلم لا بأعلم نفسه؛ لأن أفعال التفضيل لا ينصب المفعول به، فإن أولته بعالم جاز أن ينصبه في رأي بعضهم⁽⁴⁾.

ويقول⁽⁵⁾: "فإن المتبادر أن حيث ظرف مكان؛ لأنه المعروف في استعمالها، ويرده أن المراد أنه يعلم المكان المستحق للرسالة، لا أن علمه في المكان، فهو مفعول به لا مفعول فيه، وحينئذ لا ينتصب بأعلم إلا على قول بعضهم بشرط تأويله بعالم، والصواب انتصابه بيلم محذوفاً دل عليه أعلم".

3. تقع اسم مكان مبنياً في محل جر:

قال تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ﴾⁽⁶⁾، ويعرب عندئذ اسم مكان مبني في محل

جر بحرف الجر، وجملة أخرجوكم في محل جر مضاف إليه، وهناك من جرها بغير (من)، وحمل على ذلك قول زهير بن أبي سلمى⁽⁷⁾:

¹ مغني اللبيب: 140-141.

² معجم الأدباء: 4/386.

³ الأنعام: 6/124.

⁴ مغني اللبيب: 141.

⁵ السابق: 141.

⁶ البقرة: 2/191.

⁷ زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مُضَرِّ، حكيم الشعراء في الجاهلية، وليس في أئمة الأدب من يفضلّه على شعراء العرب كافة، كان ينظم القصيدة في شهر، وينقحها، ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى (الحواليات)، ت13ق.هـ. (معجم الأدباء: 2/328).

فَشَدَّ وَلَمْ يَقْرَعِ⁽¹⁾ بُيُوتًا كَثِيرَةً

لَدَى حَيْثِ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ⁽²⁾

فخففت "حيث" بإضافة "لدى" إليها.

وتجر بالكسرة الظاهرة في لغة فقعس، فيقولون: "من حيث لا يعلمون" بالكسر، فيحتمل الإعراب،
ولغة البناء على الكسر.⁽³⁾

¹ في الديوان: ينظر.

² البيت في ديوانه: ص 108.

³ مغني اللبيب: ص 140، همع الهوامع: 212/1، الظروف في ديوان الأعشى: ص 216-217.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لـ إذ في القرآن الكريم

يواجهنا المفسرون في كتبهم المشهورة بأوجه مختلفة لإعراب "إذ"، والذي تعدد وروده بكثرة في كتاب الله -تعالى-، ومن خلال هذا التعدد اختلفت الأوجه، وكثرت التقديرات.

لقد وردت "إذ" في القرآن الكريم ثلاثمائة وعشرة (310) مرات، حيث وردت مضافة إلى الجملة الفعلية مائتين واثنين وثلاثين مرة، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي وردت فيها إذ، وعدد مرات ورودها في الآية الواحدة إن وردت أكثر من مرة.

المجموع	أرقام الآيات	اسم السورة	رقم السورة
28	30 , 34 , 49 , 50 , 51 , 53 , 54 , 55 , 58 , 60 , 61 , 63 , 67 , 72 , 83 , 84 , 93 , 124 , 125 , 126 , 127 , 133 (2) , 165 , 166 , 246 , 258 , 260 .	البقرة	2
17	8 , 35 , 24 , 44 (2) , 45 , 55 , 80 , 81 , 103 , 121 , 122 , 124 , 152 , 153 , 164 , 187 .	آل عمران	3
3	64 , 72 , 108 .	النساء	4
14	11 , 20 (2) , 27 , 110 (7) , 111 , 112 , 116	المائدة	5
8	27 , 30 , 43 , 71 , 74 , 91 , 93 , 144 .	الأنعام	6
15	5 , 12 , 69 , 74 , 80 , 86 , 141 , 160 , 161 , 163 (2) , 164 , 167 , 171 , 172 .	الأعراف	7
16	7 , 9 , 11 , 12 , 17 , 20 , 26 , 30 , 32 , 42 , 43 , 44 (2) , 48 , 49 , 50 .	الأنفال	8
4	25 , 40 (3) .	التوبة	9
2	61 , 71 .	يونس	10
6	4 , 8 , 51 , 89 , 100 , 102 .	يوسف	12

المجموع	أرقام الآيات	اسم السورة	رقم السورة
4	.35 , 7 , (2)60	إبراهيم	14
2	.52 , 28	الحجر	15
6	.101 , 94 , 61 , 60 , (2)47	الإسراء	17
9	, 60 , 55 , 50 , 39 , 21 , 16 , 14 , 10 .63	الكهف	18
4	.42 , 39 , 16 , 3	مريم	19
6	.116 , 104 , 92 , 40 , 38 , 10	طه	20
8	.89 , 87 , 83 , (2)78 , 76 , 52	الأنبياء	21
1	.26	الحج	22
4	.16 , 15 , 13 , 12	النور	24
9	, 142 , 124 , 106 , 98 , 72 , 70 , 10 .177 , 161	الشعراء	26
1	.7	النمل	27
3	.76 , 46 , 44	القصص	28
2	.28 , 16	العنكبوت	29
1	.13	لقمان	31
1	.12	السجدة	32
7	.37 , 13 , 12 , (2)10 , 9 , 7	الأحزاب	33
3	.51 , 33 , 31	سبأ	34
2	.14 , 13	يس	36
5	.140 , 134 , 124 , 85 , 84	الصفافات	37
6	.71 , 69 , 41 , 31 , 22 , 21	ص	38
1	.32	الزمر	39
4	.71 , 47 , 18 , 10	غافر	40
2	.39 , 26	الزخرف	43

المجموع	أرقام الآيات	اسم السورة	رقم السورة
4	.29 , 26 , 21 , 11	الأحقاف	46
2	.26 , 18	الفتح	48
1	.17	ق	50
4	.43 , 41 , 38 , 25	الذاريات	51
4	.(2)32 , 16	النجم	53
1	.13	المجادلة	58
1	.16	الحشر	59
1	. 4	المتحنة	60
2	.6 , 5	الصف	61
2	.11 , 3	التحريم	66
2	.48 , 17	القلم	68
1	.33	المدثر	74
1	.16	النازعات	79
1	.6	البروج	85
1	.12	الشمس	91

هذا وقد وردت إذ مضافاً إليها ثلاثة من ظروف الزمان، وهذه الظروف هي يوم، وحين، وبعد حيث وردت إذ مضافاً إليها ظرف الزمان يوم في ثمان وستين موضعاً من كتاب الله، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي ورد فيها إذ مضافاً إليها ظرف الزمان يوم، وعدد مرات وروده.

المجموع	أرقام الآيات	اسم السورة	رقم السورة
1	.167	آل عمران	3
1	.42	النساء	4
1	.16	الأنعام	6
1	.8	الأعراف	7
1	.16	الأنفال	8

1	.66	هود	11
1	.49	إبراهيم	14
1	.87	النحل	16
2	.100 ,99	الكهف	18
3	.109 ,108 ,102	طه	20
1	.56	الحج	22
1	.101	المؤمنون	23
1	.25	النور	24
3	.26 ,24 ,22	الفرقان	25
1	.89	النحل	27
1	.66	القصص	28
4	.57 ,43 ,14 ,4	الروم	30
1	.33	الصافات	37
1	.9	غافر	40
1	.47	الشورى	42
1	.67	الزخرف	43
1	.27	الجاثية	45
1	.11	الطور	52
1	.39	الرحمن	55
4	.18 ,17 ,16 ,15	الحاقة	69
1	.11	المعارج	70
1	.9	المدثر	74
6	.30 ,24 ,22 ,13 ,12 ,10	القيامة	75
10	,40 ,37 ,34 ,28 ,24 ,19 ,15 .49 ,47 ,45	المرسلات	77
1	.8	النازعات	79
3	.40 ,38 ,37	عبس	80
1	.19	الانفطار	82

2	.15, 10	المطففين	83
1	.2	الغاشية	88
3	.25, (2)23	الفجر	89
2	.6, 4	الزلزلة	99
1	.11	العاديات	100
1	.8	التكوير	102

وقد وردت إذ مضافاً إليها ظرف الزمان (بعد) تسع مرات⁽¹⁾, كذلك وردت إذ مضافاً إليها ظرف الزمان (حين) مرة واحدة, وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ حِينِنْدٍ تَنْظُرُونَ﴾⁽²⁾.

أولاً: إذ الظرفية المضافة إلى الجملة الفعلية

إذ الظرفية مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى:

لقد وردت إذ الظرفية مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى (181) مرة, ومع ذلك فإننا نجد خلافاً في العامل في هذا الظرف, فقد تجد هذا الظرف لا يصلح فيه إلا عاملٌ واحدٌ, وقد تجد عدة عوامل صالحة للعمل في هذا الظرف, ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽³⁾, حيث ورد في إعرابها عدة أوجه, وهي على النحو الآتي:

1. "إذ" ظرف للزمان الماضي, ولكن العامل في هذا الظرف اختلف فيه على عدة أقوال, وهي:
أ. متعلق بالفعل الآتي "قالوا".

وهذا ما ذهب إليه كل من البيضاوي, وابن عطية, وأبو حيان, والسمين الحلبي, والألوسي. يقول البيضاوي⁽⁴⁾: "والتأويل اذكر الحادث إذ كان كذا, فحذف الحادث, وأقيم الظرف مقامه, وعامله في الآية قالوا".

ويقول ابن عطية⁽⁵⁾: "الأحسن أن تكون معلقة بقوله بعد: "قالوا أتجعل فيها-الآية-؛ لأن إذ إذا وقعت ظرفاً لا تكون إلا للزمان".

¹ آل عمران: 8/3-80, الأنعام: 6/71, الأعراف: 7/89, التوبة: 9/115, يونس: 10/3, الفرقان: 25/29, القصص: 28/87, سبأ: 34/32.

² الواقعة: 56/84.

³ البقرة: 2/30.

⁴ أنوار التنزيل وأسرار التأويل, لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت 691هـ), تحقيق: محمد المرعشلي, دار إحياء التراث العربي, بيروت, د.ط, د.ت, 67/1.

⁵ تفسير ابن عطية, المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي, تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرون, دار الخير, قطر, ط2, 2007م, 164/1.

ويقول أبو حيان⁽¹⁾: "والذي تقتضيه العربية نصب إذ بقالوا أتجعل، كما في الكلام إذا جنتي أكرمتك، أي: وقت مجيئك أكرمتك، وإذا قلت لي قلت لك، فانظر إلى حُسن هذا الوجه الواضح، وكيف لم يُوفَّق إليه أكثر الناس".

ويقول الألويسي⁽²⁾: "فاللائق أن تجعل منصوبة بقالوا الآتي".

ويقول السمين الحلبي⁽³⁾: "وأحسنها أنه منصوب بقالوا أتجعل فيها، أي: قالوا ذلك وقت قول الله لهم: إني جاعلٌ في الأرض خليفة، وهذا أسهل الأوجه".

وقد أجاز الزمخشري هذا الوجه، إذ يقول⁽⁴⁾: "وإذ نُصب بإضمار اذكر، ويجوز أن يُنتصب بقالوا".

ب. متعلق بفعل مقدر تقديره: "واذكر إذ قال ربك ..."، وهذا رأي الجمهور⁽⁵⁾.

يقول ابن عطية⁽⁶⁾: "وقال الجمهور: ليست إذ زائدة، وإنما هي معلقة بفعل مقدر، تقديره: واذكر إذ قال"

ويقول القرطبي⁽⁷⁾: "ويحتمل أن تكون متعلقة بفعل مقدر تقديره وأذكر إذ قال، وقيل: هو مردود إلى

قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾⁽⁸⁾ فالمعنى الذي خلقكم إذ قال ربك للملائكة".

ويقول ابن الشجري⁽⁹⁾: "إن التقدير: واذكروا إذ قال ربك للملائكة، وقد ظهر هذا العامل المقدر هنا

في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكْتَرْتُمْ﴾⁽¹⁰⁾

ولقد اعترض ابن هشام على النحاة القائلين بأن إذ في هذه الآية نُصب بإضمار اذكر، ووصفه بالوهم، والفحش، وقد علل ذلك بقوله⁽¹¹⁾: "وهذا وهمٌ فاحشٌ؛ لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر في ذلك الوقت، مع أن الأمر للاستقبال، وذلك الوقت قد مضى قبل تعلق بالمكلفين منا، وإنما المراد ذكر الوقت نفسه لا الذكر نفسه".

¹ البحر المحيط: 1/139.

² روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة الألويسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، د.ت، 1/218.

³ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 2003م، 1/247-248.

⁴ الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (583هـ)، تحقيق: الشيخ: عادل عبد الموجود، والشيخ: علي معوض، مكتبة العبيكة، ط1، 1998م، 1/251.

⁵ المحرر الوجيز: 1/164.

⁶ السابق: 1/164.

⁷ الجامع لأحكام القرآن: 1/222.

⁸ البقرة: 2/21.

⁹ أمالي ابن الشجري: 1/176.

¹⁰ الأنفال: 8/86.

¹¹ مغني اللبيب: 1/98.

ج. أن "إذ" ظرف منصوب بخلقكم المتقدم في قوله تعالى: ﴿اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾⁽¹⁾ إذ قال ربك، وهذا ما ذهب إليه الجمهور⁽²⁾.

وهذا القول ليس بشيء كما يراه أبو حيان، والحلبي؛ وذلك لطول الفصل بين العامل والمعمول، والفصل بينهما بهذه الجمل التي كادت أن تكون سوراً من القرآن الكريم؛ لاستبدال كل آية منها بما سيقته له، وعدم تعلقها بما قبلها التعلق الإعرابي⁽³⁾.

د. ذهب الزجاج، و العكبري إلى أن "إذ" ظرف منصوب بفعل لائق تقديره: "ابتداء خلقكم وقت قول ربك"، وقد استدل الزجاج على صحة ذلك بأن الله خلق الناس، وغيرهم، فكأنه قال: "ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة"⁽⁴⁾.

هذا ويرى كل من أبي حيان والسمين الحلبي أن هذا العامل ضعيف؛ لأن وقت ابتداء الخلق ليس وقت القول، حيث يقول أبو حيان⁽⁵⁾: "إن هذا القول لا تحرير فيه؛ لأن الفعل العامل في الظرف لا بد أن يقع فيه، أما أن يسبقه أو يتأخر عنه فلا؛ لأنه لا يكون له ظرفاً".

ويقول الحلبي⁽⁶⁾: "السابع: أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: ابتداء خلقكم وقت قول ربك، الثامن: أنه منصوب بفعل لائق تقديره: ابتداء خلقكم وقت قوله ذلك، وهذان ضعيفان؛ لأن وقت ابتداء الخلق ليس وقت القول، وأيضاً فإنه لا يتصرف". هـ. إذ ظرف العامل فيه أحياءكم المقدرة تقديرها: "وهو الذي أحياءكم إذ قال ربك"، فجاء الناصب مقدرًا ومتقدمًا على الظرف⁽⁷⁾.

ويرى أبو حيان أن هذا القول ليس بشيء؛ لأنه حذفٌ بغير دليل، حذف الموصول وصلته وبقي معمول الصلة، وفيه أيضاً أن الإحياء ليس واقعاً وقت قول الله للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة⁽⁸⁾.

¹ البقرة: 21/2.

² المحرر الوجيز: 164/1، البحر المحيط: 286/1.

³ البحر المحيط: 286/1، والدر المصون: 247/1.

⁴ معاني القرآن: 108/1.

⁵ البحر المحيط: 286/1.

⁶ الدر المصون: 249/1.

⁷ البحر المحيط: 286/1.

⁸ البحر المحيط: 286/1.

و. إذ منصوب بقال بعده.

وهذا القول فاسد كما يراه مكي بن أبي طالب، والسمين الحلبي، وأبو حيان، وأبو السعود. وعللوا ذلك بأن الجملة الفعلية "قال" في قوله تعالى: "وإذ قال ربك...." مضافة إلى "إذ"، ولا يجوز أن يعمل المضاف إليه في المضاف. يقول مكي⁽¹⁾: "ولا يعمل فيها "قال"؛ لأن "إذ" مضافة إلى الجملة التي بعدها، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف".

ويقول السمين الحلبي⁽²⁾ في تفسير هذه الآية: "أنه-أي إذ- منصوب بقال بعده، وهو فاسد؛ لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف"
2. مفعول به، تقديره: واذكر إذ قال.⁽³⁾

وهذا ما ذهب إليه كل من ابن كثير، ومكي، والعكبري، والرازي، والزمخشري، وابن عطية، وابن هشام، حيث قالوا إن إذ منصوبة باذكر، ولكنهم في الوقت نفسه جوزوا أن تكون منصوبة بقالوا. يقول ابن كثير⁽⁴⁾: "يخبر تعالى بامتتانه على بني آدم، بنتويهم بذكرهم في الملاء الأعلى قبل إيجادهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ ارْجِعْنَ آي: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة".

ويقول الزمخشري⁽⁵⁾: "وَإِذْ نُصِبَ بِإِضْمَارِ اذْكَرَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ بِقَالُوا".
ويقول الرازي⁽⁶⁾: "ليس في القرآن ما لا معنى له، وهو نصب بإضمار اذكر، والمعنى أذكر لهم إذ قال ربك للملائكة.... ويجوز أن ينتصب «إذ» بقالوا".
يقول العكبري⁽⁷⁾ في تفسيره لهذه الآية: "قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ» هو مفعول به، تقديره: واذكر إذ قال". ويرى القرطبي احتمال تعلقها باذكر.⁽⁸⁾

¹ مشكل إعراب القرآن: 34/1.

² الدر المصون: 249/1.

³ وممن أعربها بذلك د. عبده الراجحي، حيث يقول: "ويدور هذا الاستعمال كثيرا في القرآن، حيث تقع إذ مفعولاً به لفعل محذوف تقديره: اذكر، نحو قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً». (التطبيق النحوي: 233).

⁴ تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي (774هـ -)، تحقيق: مصطفى محمد، وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجزيرة، ومكتبة أولاد الشيخ، الجزيرة، ط1، د.ت، 336/1.

⁵ الكشف: 251/1.

⁶ تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (604هـ -)، دار الفكر، 1981م: 174/1.

⁷ التبيان: 46/1.

⁸ الجامع لأحكام القرآن: 222/1.

يقول ابن هشام⁽¹⁾: "والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولاً به بتقدير: اذكر".

3. أجاز بعضهم أن تكون (إذ) هنا خبر مبتدأ محذوف، تقديره: وابتداء خلقكم إذ قال ربك.⁽²⁾ وجوز ذلك ابن عطية⁽³⁾.

4. يرى بعض المعربين أن "إذ" بمعنى "قد" التحقيقية، وهي حرف، وتقدير ذلك: "وقد قال ربك".⁽⁴⁾

5. أنه زائدة، وهذا مذهب أبي عبيدة، حيث يقول⁽⁵⁾: "ومن مجاز ما يزداد في الكلام من حروف الزوائد... قوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة".

وأنكر هذا القول جميع المفسرين، وقد نعتوه بضعفه في الصناعة النحوية، وجرأته في القول.⁽⁶⁾

قال الفراء⁽⁷⁾: "هذا اجترام من أبي عبيدة؛ ذكر الله - عزَّ وجل - خلق الناس، وغيرهم،

فالتقدير: وابتداء خلقكم إذ قال؛ فكان هذا من المحذوف الذي دلَّ عليه الكلام، كما قال الشاعر⁽⁸⁾:

فإن المنية من يخشاها فسوف تصادفه أينما⁽⁹⁾

يريد أينما ذهب".

يتبين لنا من خلال كلام الفراء أن "إذ" متعلق بفعل محذوف تقديره "ابتداء خلقكم".

وقد احتج الفراء على صحة رأيه بأن الله تعالى ذكر خلق الناس، وغيرهم، فكأنه قال: "ابتداء

خلقكم إذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة"⁽¹⁰⁾.

¹ مغني اللبيب: 74/1.

² التبيان في إعراب القرآن: 46/1، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالي الفاروق وآخرين، دار العلوم، الدوحة، قطر، 1977م، 164/1.

³ المحرر الوجيز: 164/1.

⁴ انظر: البحر المحيط: 284/1.

⁵ مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، د.ت، د.ط، 11/1، والمحرر الوجيز: 164/1، والجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر، بيروت، ط2003م، 221/1، التبيان في إعراب القرآن: 46/1 وغيرها.

⁶ انظر مثلاً: المحرر الوجيز: 164/1، البحر المحيط: 286/1.

⁷ معاني القرآن للفراء، تحقيق: محمد النجار وآخرين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 1422هـ— 108/1، وانظر: الجامع لأحكام القرآن: 221/1-222.

⁸ هذا البيت لنمر بن تولب العُكلي، شاعر مخضرم مُقل، عاش مُنتي عام حتى أنكر بعض عقله فقال:

لعمري لقد أنكرت نفسي ورايني من الشيب أبدالي الذي أتبدلُ

توفي في خلافة أبي بكر الصديق. (معجم الأدباء: 273/2)

⁹ ديوان النمر بن تولب: ص116، والبيت في: الجمل في النحو: ص274، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية: 835/2.

¹⁰ معاني القرآن وإعرابه: 108/1.

يقول النحاس⁽¹⁾: "وهذا - قول أبي عبيدة - خطأ؛ لأن «إذ» أسم وهي ظرف زمان ليس مما تزداد".

ويرى أبو حيان أن هذا العامل ضعيف؛ لأن وقت ابتداء الخلق ليس وقت القول. يقول أبو حيان⁽²⁾: "إن هذا القول لا تحرير فيه؛ لأن الفعل العامل في الظرف لا بد أن يقع فيه، أما أن يسبقه أو يتأخر عنه فلا؛ لأنه لا يكون له ظرفاً".

ويرى الباحث أن الحق فيما ذهب إليه القائلون بأن إذ ظرف منصوب بقالوا أتجعل؛ لأنها تشبه (إذا) الشرطية في هذا المثال، والتقدير: قالوا أتجعل إذ قال ربك للملائكة. ومثل هذه الأقوال وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾⁽³⁾⁽⁴⁾

ومن أمثلة ورود إذ مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى، قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁵⁾ 130 ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁵⁾

وقد اختلف النحاة في إذ على أوجه:

1. ظرف لما مضى من الزمان، والعامل فيه:
- أ. ذهب أبو حيان⁽⁶⁾ والسمين الحلبي⁽⁷⁾ إلى أن العامل في إذ قوله تعالى: "قال أسلمت".
- ب. ذهب العكبري إلى أن العامل "اصطفيناه"⁽⁸⁾.
- ج. العامل محذوف تقديره: "اذكر"، وهذا جوّزه العكبري⁽⁹⁾.

ويرى كل من أبي حيان، و السمين الحلبي أننا لو قلنا إن العامل اصطفيناه، أو محذوف تقديره اذكر فإن قوله "قال أسلمت" في هذه الحالة لا ينتظم العامل مع ما قبله إلا إن قدر حرف

¹ إعراب القرآن: 30/1، وانظر: الجامع لأحكام القرآن: 1/221.

² البحر المحيط: 1/286.

³ البقرة: 2/260.

⁴ انظر: البحر المحيط: 2/308.

⁵ البقرة: 2/131.

⁶ انظر: البحر المحيط: 1/566.

⁷ انظر: الدر المصون: 2/123.

⁸ انظر: التبيان: 1/117.

⁹ انظر: السابق: 1/117.

عطف قبل قال؛ فيصبح التقدير: إذ قال له ربه أسلم فقال أسلمت، أو يُجعل جواباً لكلام مقدر، أي ماذا كان جوابه؟ قال: أسلمت.⁽¹⁾

2. "إذ" بدل من قوله تعالى: "في الدنيا"، وهذا أجازة العكبري.⁽²⁾

3. وبعض النحاة يرى أن "إذ" في موضع حال من قوله: "ولقد اصطفيناه".⁽³⁾

ولقد اعترض أبو حيان على من جعل "إذ" في موضع حال من قوله: "ولقد اصطفيناه"، ولكنه لم يوضح سبب الاعتراض، إذ يقول⁽⁴⁾: "وأبعد من جعل إذ قال في موضع الحال من قوله: "ولقد اصطفيناه"، جعل العامل في الحال اصطفيناه".

4. وقد أجاز الزمخشري أن تكون "إذ" مفعولاً به لفعل محذوف تقديره "اذكر"، وفي الوقت نفسه أجاز أن تكون ظرفاً لـ اصطفيناه، حيث يقول⁽⁵⁾: "إذ قال) ظرف لاصطفيناه، أو انتصب بإضمار اذكر".

والراجح عندي ما ذهب إليه أبو حيان من أن "إذ" ظرف لما مضى من الزمان، والعامل فيه قال أسلمت، والتقدير: قال أسلمت إذ قال له ربه أسلم.

ومن أمثلة ورود إذ مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁶⁾ وقد وردت فيها الأوجه الإعرابية الآتية:

1. ظرف لما مضى من الزمان، و اختلف في العامل في هذا الظرف على أقوال:

أ. يرى الطبري أن العامل سميع، إذ يقول⁽⁷⁾: "فـ" إذ" من صلة سميع" ⁽⁸⁾.

ب. يرى الزمخشري أن العامل في هذا الظرف سميع عليم.⁽⁹⁾

وقد اعترض أبو حيان على هذا القول بقوله⁽¹⁰⁾: "ولا ذلك؛ لأن قوله عليم إما أن يكون خبراً بعد خبر، أو وصفاً لقوله سميع، فإن كان خبراً؛ فلا يجوز الفصل بين العامل والمعمول؛ لأنه أجنبي،

¹ انظر: البحر المحيط:1/566، والدر المصون:2/123.

² التبيان:1/117.

³ البحر المحيط:1/556.

⁴ السابق: 1/556.

⁵ السابق:1/238.

⁶ آل عمران:3/35.

⁷ جامع البيان:6/328.

⁸ يعني أن الظرف متعلق بقوله: "سميع" في الآية السابقة. جامع البيان: 6/328 في الحاشية.

⁹ الكشاف:1/458.

¹⁰ البحر المحيط:2/455.

وإن كان وصفاً فلا يجوز أن يعمل سميع في الظرف؛ لأنه قد وُصِفَ، واسم الفاعل وما جرى مجراه إذا وُصِفَ قبل أخذ معموله لا يجوز إذ ذلك أن يعمل على خلاف لبعض الكوفيين في ذلك، ولأن اتصافه بسميع عليم لا يتقيد بذلك الوقت".

ولكن السمين الحلبي اعترض على أبي حيان بقوله: "وهذا العذر غير مانع؛ لأنه يتسع في الظرف وعديله ما لا يتسع في غيره...."⁽¹⁾

وأنا اتفق مع السمين الحلبي في ذلك؛ لأننا يجوز لنا أن نجعل الوصف عاملاً في الظرف؛ ولأننا لو رجعنا إلى النحاة القدماء؛ نجد أن أقوالهم متواترة بما يقوله السمين الحلبي. يقول ابن جني⁽²⁾: "الظرف مما يتسع الأمر فيه، ولا تضيق مساحة التعذر".

والظاهر أن السمين الحلبي يتفق مع الزمخشري في أن سميع عليم كلاهما عامل في الظرف.

ج. يرى الزجاج أن العامل اصطفى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾، والتقدير: واصطفى آل عمران إذ قالت.. الآية.⁽⁴⁾

وقد اعترض أبو حيان بقوله⁽⁵⁾: "ولا يسوغ ذلك؛ لتغاير زمان هذا الاصطفاء وزمان قول امرأة عمران؛ فلا يصح عمله فيه".

2. يرى أبو عبيدة أن إذ زائد، والتقدير: قالت امرأة عمران.⁽⁶⁾

3. ويرى كل من الأخفش والمبرد أن إذ مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر.⁽⁷⁾

والراجح عندي أن إذ ظرف لما مضى من الزمن، عامله كما قال الزمخشري سميع عليم.

هذا وقد اجتمعت الجملة الاسمية مع الجملة الفعلية في مثاليها المذكورين في قوله تعالى:

﴿إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ

لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾⁽⁸⁾، حيث قال ابن هشام محلاً "إذ" في هذه الجملة: "الأولى ظرف لـ

"نصره"، والثانية بدل منها، والثالثة، قيل: بدل ثانٍ، وقيل: ظرف لـ "ثاني اثنين"، وفيهما، وفي

إبدال الثانية نظر، لأن الزمن الثاني والثالث غير الأول، فكيف يبدلان منه؟

¹ الدر المصون: 129/3.

² الخصائص: 400/2.

³ آل عمران: 33/3.

⁴ التبيان: 253/1.

⁵ البحر المحيط: 177/2.

⁶ مجاز القرآن: 90/1.

⁷ معاني القرآن: 204/1، الدر المصون: 129/3.

⁸ التوبة: 40/9.

لقد أجاب ابن جني في المحتسب عن هذا السؤال بقوله⁽¹⁾: "إذا تقارب الزمانان وُضع أحدهما موضع صاحبه، ألا تراك تقول: شكرتك إذ أحسنت إليّ، وإنما كان الشكر سبباً عن الإحسان، فزمان الإحسان قبل زمان الشكر، فأعلمت شكرك في زمان لم يقع الشكر فيه، ومن شروط الظرف العامل فيه الفعل أن يكون ذلك الفعل واقعاً في ذلك الزمان، كزرتك يوم الجمعة، وجلست عندك يوم السبت، لكنه لما تجاوز الزمانان وتقاربا جاز عمل الفعل في زمان لم يقع فيه لكنه قريب منه".

هذا وقد ترد إذ بدلاً، لكنها في الوقت نفسه ليست متصرفة بل ظرفية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾⁽²⁾، "فإذ" الثانية بدل من "إذ" الأولى، ومع ذلك فهي ظرفية، وليست متصرفة؛ لأنها بدل من ظرف ("إذ" نفسها).⁽³⁾

ومما جاء "إذ" مبدلاً من "إذ" نفسه، وهي ظرفية في نفس الوقت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾⁽⁴⁾ 165 ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾⁽⁵⁾، (فإذ تبرأ) بدل من إذ يرون⁽⁵⁾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁶⁾ 121 ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾⁽⁷⁾، (فإذ همت بدل من إذ غدوت).⁽⁷⁾ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا﴾⁽⁸⁾ 21 ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾⁽⁹⁾، (فإذ دخلوا بدل من إذ تسوروا).⁽⁹⁾

¹ المحتسب: 291/1.

² البقرة: 133/2.

³ انظر: التبيان: 36/1، والبحر المحيط: 402/1.

⁴ البقرة: 165-166/2.

⁵ انظر: الكشاف: 354/1، والتبيان: 118/1، والبحر المحيط: 646/4.

⁶ آل عمران: 121-122/3.

⁷ انظر: الكشاف: 616/1، والبحر المحيط: 50/3، وانظر الآيات الآتية: آل عمران: 44-45/3، الأعراف: 163/7،

الأأنفال: 7/8 و9 و11 و12، التوبة: 9/40، الإسراء: 17/47، طه: 20/38 و40، الأحزاب: 33/10، يس: 13 و14،

الصفات: 37/84 و85، ص: 38/22 و69 و71.

⁸ ص: 38/21-22.

⁹ انظر: الكشاف: 254/5، والتبيان: 1098/2.

وقد تأتي "إذ" بدلاً من المجرور، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ﴾ (1)، فاذا بدلا من قوله: "في الدنيا"، أجازه العكبري (2)، ولم يعترض عليه أبو حيان (3).

ويرى الباحث أن "إذ" ظرف متعلق باصطفيناه، وهو أحد قولي العكبري (4).

ويرى العكبري أن "إذ" بدل من "بعد" في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (5) (6).

وقد اعترض أبو حيان (7) على ذلك بقوله: "لو كان بدلاً لكان على تقدير العامل، وهو لا يصح دخوله عليه، أعني من الداخلة على بعد؛ إذ لا تقول: من إذ". ويرجح الباحث ما ذهب إليه أبو حيان.

وقد تأتي إذ بدلاً من ظرفي الزمان بعد، ويوم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ (8)، "فاذا" بدل من "يوم يجمع الله الرسل". (9)

ويرى الباحث أن هذا رأي جيد؛ لأن الزمخشري يقول في تفسير هذه الآية الكريمة (10): "والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجاباتهم، وبتعديدها ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام؛ فكذبوهم، وسموهم سحرة".

¹ البقرة: 130/2-131.

² التبيان: 1/117.

³ البحر المحيط: 1/566.

⁴ التبيان: 1/117.

⁵ البقرة: 2/246.

⁶ التبيان: 1/196.

⁷ البحر المحيط: 2/263.

⁸ المائدة: 5/109-110.

⁹ انظر: الكشف: 2/311، التبيان: 1/471، البحر المحيط: 4/54، وانظر الآيات: الأنفال: 43/8، الأنفال: 8/41 و

42، التوبة: 9/25، مريم: 19/39، غافر: 40/18.

¹⁰ الكشف: 2/311.

فالواضح لدينا أن خطاب الله - تعالى - للرسل - عليهم السلام -، ولعيسى -عليه السلام- يكون يوم القيامة، فـ "إذ" هنا واقعة موقع "إذا"، وهذا ما سيتم مناقشته فيما بعد، فما دام خاطب عيسى - عليه السلام-، والرسل -عليهم السلام- في يوم القيامة إذاً يكون إذ قال بدلاً من يوم يجمع الله الرسل، والتقدير: يوم يقول الله يا عيسى اذكر نعمتي .. .

وقد أورد ابن هشام إشكالاً وقع فيه النحاة في إبدال "إذ" من يوم في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾⁽¹⁾، وهذا الإشكال يكمن في السؤال الآتي: هل "إذ" تعليلية أم بدلٌ من اليوم؟، وهذا ما سأتناوله بالتفصيل والتحليل عند الحديث عن إذ التعليلية.⁽²⁾

وقد أجاز العكبري مجئ إذ مبدلة من: "من قبل"، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾⁽³⁾ 51 ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾⁽³⁾ إذ يقول⁽⁴⁾: "قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ﴾: إذ ظرف لرشده أو لآتيناه أو لعالمين⁽⁵⁾، ويجوز أن يكون بدلاً من قوله: ﴿من قبل﴾⁽⁶⁾

والظاهر لديّ أن الألويسي يوافق الزجاج قوله؛ لأنه عرض الأقوال، ولم يعترض على أي منها⁽⁷⁾. ويرى الباحث أن العامل في (إذ) عالمين، وهو الأولي، ثم رشده، ثم آتيناه، ذكرتها بالترتيب، وأرى أيضاً أن "إذ" ليست بدلاً من "من قبل"؛ لأن بلوغ الرشد قبل القول؛ وليس متلازمين، ومن أجاز التصرف في "إذ" بإعرابها مفعولاً به لاذكر أجاز أن تكون "إذ" بدلاً من المفعول به، وتتبع الآيات التي يعربونها بدلاً من المفعول فوجدت أكثرها لا يخرج عن الشكلين الآتيين:

- واذكر + اسم + إذ. (و+ فعل ماضٍ + اسم + إذ).

- اسم + إذ.

فيكون إذ بدلاً من الاسم، وذلك نحو:

1. قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾⁽⁸⁾

¹ الزخرف:39/63.

² مغني اللبيب:86-87.

³ الأنبياء:52-51/21.

⁴ التينان:920/2.

⁵ وهذا الرأي ذهب إليه الزمخشري والسمين الحلبي. انظر:الكشاف:(4/150)، الدر المصون:(8/167).

⁶ الأنبياء:51/21.

⁷ روح المعاني:59/17.

⁸ مريم:16/19.

فـ "إذ" بدل من "مريم".

2. قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (1)

فـ "إذ" بدل من لوط. (2)

والحقيقة أن إذ ليست متصرفة في هاتين الآيتين، فهي ظرفية، والعامل في الآية الأولى "انتبذت"، وفي الآية الثانية "قال".

قال الزجاج⁽³⁾: "إذ بدل من بعد".

وقد اعترض أبو حيان؛ لأنه لو كان بدلاً لكان على تقدير من إذ؛ وهذا لا يصح، وبين أنه ظرف لما مضى، والعامل فيه قالوا⁽⁴⁾.

"إذ" المضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنىً

لقد جاءت "إذ" في القرآن الكريم مضافة إلى الفعل الماضي، والمعنى للاستقبال في ثماني آيات من كتاب الله-تعالى-، وومن أمثلة ورود إذ مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنىً قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (5) حيث يرى مكّي بن أبي طالب⁽⁶⁾، أن "إذ" ظرف لما مضى من الزمان، والعامل فيه قوله: "شديد العذاب" السابقة، أي: الله شديد العذاب حين تبرأ...، وجوز ذلك أبو البقاء العكبري⁽⁷⁾.

يقول مكّي بن أبي طالب⁽⁸⁾: "وإنما جاءت "إذ" هنا، وهي لما مضى، ومعنى الكلام لما يستقبل؛ لأن أخبار الآخرة من الله -جلّ ذكره- كالكائنة الماضية لصحة وقوعها، وثبات كونها على ما أخبر به الصادق - لا إله إلا هو-؛ فجاز الإخبار عنها بالمضى؛ إذ هي في صحة كونها كالشيء الذي قد كان ومضى، وهو كثير في القرآن".

¹ العنكبوت: 54/27.

² انظر: الكشاف: 4/462، وانظر الآيات التالية: الأنبياء: 21/78، العنكبوت: 29/61 و 28.

³ العكبري: 1/197.

⁴ البحر المحيط: 2/263.

⁵ البقرة: 2/166، وانظر الآيات: مريم: 19/39، المائدة: 4/110، الأنعام: 7/27 و 30، سبأ: 51.

⁶ انظر: مشكل إعراب القرآن: 1/79.

⁷ انظر: التبيان: 1/137.

⁸ مشكل إعراب القرآن: 1/79.

من خلال الكلام يتضح لنا مدى روعة الأسلوب القرآني، وجماله في تعبيره عن المستقبل بصيغة الماضي؛ حيث إنه استعمل "إذ" التي هي ظرف للزمن الماضي بمعنى "إذا" التي هي ظرف لما يستقبل من الزمان.

كذا جوز كل من مكي بن أبي طالب⁽¹⁾ وأبو البقاء العكبري⁽²⁾ أن تكون مفعولاً به لفعل محذوف تقديره اذكر، بينما يرى الزمخشري أن "إذ" بدل من قوله: ﴿إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾⁽³⁾ السابقة، وتقديره: "إذ تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع"⁽⁴⁾، وأجازه العكبري⁽⁵⁾، و أبو حيان⁽⁶⁾. والأقرب عندي ما رآه الزمخشري من أن "إذ" بدل من قوله: "إذ يرون العذاب".

وهنا يتبين لنا مدى روعة الأسلوب القرآني، وجماله، وبلاغته في استعمال "إذ" مكان "إذا"، حيث إن "إذ" ظرف للزمن الماضي، و"إذا" ظرف للزمن المستقبل، وقد استعمل القرآن الكريم "إذ" مكان "إذا"، وكما أشرت في الفصل الأول من هذه الدراسة إن الله -تعالى- لم يستخدم "إذ" مكان "إذا" إلا لغرض بلاغي واحد، وهو أن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله -تعالى- متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁷⁾، حيث ورد في "إذ" هذه وجهان:

1. ظرف لما مضى من الزمن، والتقدير: "ولو رأيت" فتكون لو على هذا الرأي قد استعملت استعمال (إن) الشرطية، وأجأ من ذهب إلى هذا أن هذا الأمر لم يقع بعد.⁽⁸⁾
2. إذ بمعنى "إذا"، وممن يرى ذلك الإمام الطبري⁽⁹⁾، ابن عطية⁽¹⁰⁾، والرازي⁽¹¹⁾ والسمين الحلبي⁽¹²⁾، وأبو حيان⁽¹³⁾.

¹ انظر: مشكل إعراب القرآن: 79/1.

² انظر: التبيان: 137/1.

³ البقرة: 165/2، قوله تعالى: "وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ" {165} إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا.

⁴ الكشف: 354/1.

⁵ انظر: التبيان: 137/1.

⁶ البحر المحيط: 646/1.

⁷ الأنعام: 27/6، وانظر الآيات: المائدة: 110/5، الأنعام: 30/6، سبأ: 51/34، غافر: 18/40 و 70-71، الزخرف: 39/43.

⁸ انظر: البحر المحيط: 105/4.

⁹ جامع البيان: 317/11.

¹⁰ المحرر الوجيز: 341/3.

¹¹ مفاتيح الغيب: 160/2.

¹² الدر المصون: 583-584/4.

¹³ البحر المحيط: 105/4.

يقول الطبري⁽¹⁾: "وقيل: ولو ترى إذ وقفوا", ومعناه: إذا وقفوا, لما وصفنا قبل فيما مضى أن العرب قد تضع "إذ" مكان "إذا", و"إذا" مكان "إذ", وإن كان حظ "إذ" أن تصاحب من الأخبار ما قد وُجد فقضي, وحظ "إذا" أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد, ولكن ذلك كما قال الراجز, وهو أبو النجم⁽²⁾:

ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَا إِذْ جَزَى جَنَاتِ عَدْنٍ فِي الْعَلَاءِ الْعُلَا⁽³⁾

فقال: "ثم جزاه الله عنا إذ جرى", فوضع "إذ" مكان "إذا", وقيل: "وقفوا", ولم يقل: "أوقفوا"; لأن ذلك هو الفصح من كلام العرب. يقال: "وقفتُ الدابة وغيرها", بغير ألف, إذا حبستها. وكذلك: "وقفت الأرض", إذا جعلتها صدقةً حبيساً, بغير ألف. ويقول ابن عطية⁽⁴⁾: "ووقعت "إذ" في موقع "إذا" التي هي لما يستقبل, وجاز ذلك؛ لأن الأمر المتيقن وقوعه يُعبر عنه كما يُعبر عن الماضي الوقوع".

ويقول الرازي⁽⁵⁾: "فإن قيل: فلماذا قال (ولو ترى), وذلك يُؤذن بالاستقبال, ثم قال بعده (فقالوا) وهو يدل على الماضي؟, قلنا: إن كلمة (إذ) تُقام مقام (إذا) إذا أراد المتكلم المبالغة في التقرير والتوكيد, وإزالة الشبهة, لأن الماضي قد وقع واستقر, فالتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضي يفيد المبالغة من هذا الاعتبار".

ويقول السمين الحلبي⁽⁶⁾: "وفي "لو" هذه وجهان, أظهرهما: أنها الامتناعية, فينصرف المضارع بعدها للمضي, فـ"إذ" باقية على أصلها من دلالتها على الزمن الماضي, وهذا وإن كان لم يقع بعد؛ لأنه سيأتي يوم القيامة إلا أنه أُبرزَ في صورة الماضي؛ لتَحَقُّقِ الوعد, والثاني: أنها بمعنى "إن" الشرطية".

ويقول أبو حيان⁽⁷⁾ في تفسير هذه الآية: "ولو رأيت فـ"إذ" باقية على كونها ظرفاً ماضياً معمولاً لـ"ترى", وأبرز هذا في صورة المضي, وإن كان لم يقع بعد؛ إجراءً للمحقق المنتظر مجرى الواقع الماضي".

¹ جامع البيان: 317/11.

² هو الفضل بن قدامة العجلي, أبو النجم, من بني بكر بن وائل, من أكابر الرَجَاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر.

نبت في العصر الأموي, وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام. (معجم الأدباء: 2/232)

³ معجم الأدباء: 2/233.

⁴ المحرر الوجيز: 3/341.

⁵ مفاتيح الغيب: 2/160.

⁶ الدر المصون: 4/583-584.

⁷ البحر المحيط: 4/105.

ويؤيد الباحث ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول؛ لأن أخبار يوم القيامة لما كانت متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ الماضي.

"إذ" المضافة إلى الجملة الفعلية التي فعلها مضارع لفظاً لا معنىً
(ماضٍ معنىً لا لفظاً).

وفي هذه الحالة يأتي بعد "إذ" فعلٌ مضارعٌ معناه ماضٍ، وهو ما يُسمى في البلاغة العربية بالتعبير عن الماضي بصيغة المضارع (المستقبل)، ولم يكن التعبير عن الماضي بصيغة المضارع (المستقبل) لمجرد التعبير، وإنما جاء ذلك لحكمة نستنبطها من سياق النص القرآني. لقد جاءت "إذ" في القرآن الكريم مضافةً إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ معنىً لا لفظاً في اثنين وثلاثين موضعاً من كتاب الله -تعالى-، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي وردت فيها إذ، وعدد مرات ورودها في الآية الواحدة إن وردت أكثر من مرة.

المجموع	أرقام الآيات	اسم السورة	رقم السورة
1	.127	البقرة	2
4	.153, 152, 124, 44	آل عمران	3
2	.108, 72	النساء	4
1	.163	الأعراف	7
6	.49, 43, 13, 12, 11, 9	الأنفال	8
1	.40	التوبة	9
1	.61	يونس	10
1	.47	الإسراء	17
2	.21, 16	الكهف	18
2	.104, 40	طه	20
2	.15, 13	النور	24
2	.98, 72	الشعراء	26
1	.78	الأنبياء	27
1	.33	سبأ	34
1	.69	ص	38

46	الأحقاف	.11	1
48	الفتح	.18	1
53	النجم	.16	1
58	المجادلة	.13	1

1. قوله تعالى: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽¹⁾

أ. يرى الزمخشري أن الفعل المضارع (يرفع) الواقع بعد "إذ" هو حكاية حال ماضية.⁽²⁾ يقول الزمخشري⁽³⁾: "(يرفع): حكاية حال ماضية". في حين يرى أبو حيان⁽⁴⁾ والألوسي⁽⁵⁾ أن "إذ" ظرفٌ لما مضى من الزمان، وهي معطوفة على "إذ" السابقة، وبالتالي يكون العامل فيها هو العامل في "إذ" السابقة من قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾⁽⁶⁾، والعامل في "إذ" قال من قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾⁽⁷⁾.

يقول أبو حيان⁽⁸⁾: "(وإذ يرفع إبراهيم) هذه الجملة معطوفة على ما قبلها، فالعامل في "إذ" ما ذكر أنه العامل في "إذ" قبلها، و(يرفع) في معنى (رفع)، و"إذ" من الأدوات المخصصة للمضارع إلى الماضي؛ لأنها ظرف لما مضى من الزمان، والرفع حالة الخطاب قد وقع". فكأنني بأبي حيان يقول إن التقدير: "وإذ رفع إبراهيم القواعد...". ويرى الألوسي أن "إذ" ظرفٌ لما مضى من الزمان، فالواجب أن يأتي بعده فعلٌ ماضٍ، ولكن القرآن عبر عن الماضي بصيغة المضارع لغرضٍ بلاغي، وهو حث الناس على تعظيم بيت الله الحرام، والافتداء بإبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - في فعل الطاعات. يقول الألوسي⁽⁹⁾: "وآثر صيغة المضارع مع أن القصة ماضية؛ استحضاراً لهذا الأمر، ليقنني الناس

¹ البقرة: 127/2.

² الكشاف: 321/1.

³ السابق: 321/1.

⁴ البحر المحيط: 558/1.

⁵ روح المعاني: 383/1.

⁶ البقرة: 126/2.

⁷ البقرة: 126/2.

⁸ البحر المحيط: 558/1.

⁹ روح المعاني: 383/1.

به في اتیان الطاعات الشاقة مع الابتهاال في قبولها, وليعلموا عظمة البيت المبني فيعظمونه".

"إذ" المضافة إلى الجملة الفعلية, وفعالها مضارع لفظاً ومعنى

لقد جاءت "إذ" في القرآن الكريم مضافةً إلى الجملة الفعلية التي فعالها مضارع لفظاً ومعنى في خمسة مواضع.

1. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ (1)

أ. يرى الطبري أن "إذ" معطوفة على قوله: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ (2)

ويرى ابن عطية (3) وأبو حيان (4) أن هذا القول بعيد.

ب. يرى البيضاوي و العكبري أن إذ مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكر, أو تكون معطوفة على "غدوا" (5).

يقول العكبري (6): "قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾ (7) يجوز أن يكون معطوفاً على "غدوا", وأن يكون التقدير: واذكر "

يقول البيضاوي (8): "واذكر وقت تخاصمهم, ويحتمل العطف على غدوا".

ج. يرى الزمخشري, وابن عطية أن إذ مفعول به لفعل محذوف تقديره: اذكر. يقول الزمخشري (9): "واذكر وقت يتحاجون".

ويقول ابن عطية (10): "والعامل في "إذ" فعل مضمّر تقديره واذكروا".

¹ غافر: 47/40, وانظر الآيات: البقرة: 165/2, الأنفال: 50/8, غافر: 10/40, ق: 17/50.

² غافر: 18/40.

³ المحرر الوجيز: 447/7.

⁴ البحر المحيط: 448/7.

⁵ غافر: 46/40.

⁶ التبيان: 1121/2.

⁷ غافر: 47/40, وانظر الآيات: البقرة: 165/2, الأنفال: 50/8, غافر: 10/40, ق: 17/50.

⁸ تفسير البيضاوي: 60/5.

⁹ الكشاف: 352/5.

¹⁰ المحرر الوجيز: 447/7.

هذا ومع ورود إذ مضافة إلى جملة فعلية فقد وقع التنازع فيها⁽¹⁾, ويقصد بالتنازع: أن يصلح لها أكثر من عامل للعمل فيها, فتنازع فيها:

1. فعلان, كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرِيبٌ فِيهَا إِذٍ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾⁽²⁾

فـ "إذ" ظرف "لأعثرنا أو ليعلموا"⁽³⁾.

ويرى الزمخشري أن "إذ" متعلق بأعثرنا⁽⁴⁾, وليس كما يقول عزيمة أنه تنازع فيها فعلان عند الزمخشري⁽⁵⁾.

2. ثلاثة أفعال فأكثر, وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁶⁾ 152 ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾⁽⁶⁾

فيرى الزجاج⁽⁷⁾, وأبو حيان⁽⁸⁾ أن "إذ" ظرف لـ (عصيتهم), أو (تنازعتهم), أو (فشلتهم).

ويرى الزمخشري⁽⁹⁾ أن "إذ" ظرف لـ (صرفكم), أو (ليبتليكم), أو بإضمار انكر, وليس الأمر كما ينقل عزيمة "إذ" "ظرف لـ (عصيتهم), أو (تنازعتهم), أو (فشلتهم) أو (عفا عنكم), أو (ليبتليكم), أو (صرفكم) عند أبي حيان⁽¹⁰⁾.

ومما تنازع فيه أكثر من ثلاثة أفعال قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بريءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁽⁶⁾ إِذٍ يَقُولُ

¹ دراسات لأسلوب القرآن: 34-36.

² الكهف: 21/18.

³ التبيان 842/2, البحر: 108/6, وانظر الآيات: الأعراف: 12/7, الإسراء: 94/17, طه: 39-40, النور: 14/24-15, الفتح: 25-26.

⁴ الكشاف: 3/574.

⁵ دراسات لأسلوب القرآن: 34/1.

⁶ آل عمران: 152-153.

⁷ التبيان: 1/301.

⁸ البحر: 3/89.

⁹ الكشاف: 1/641.

¹⁰ دراسات لأسلوب القرآن: 35/1.

الْمُنَافِقُونَ ﴿١﴾، فـ "إِذ" ظرف لـ (زين) أو (نكص)، أو لفعلٍ من الأفعال المذكورة في الآية مما يصح به المعنى. (2)

3. وقد تنازع العمل في "إِذ" فعلٌ ووصفٌ في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ الَّذِي فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى كُفْرِهِمْ﴾ (3)، فـ "إِذ" ظرف لخبر الماكرين، أو مكر الله. (4)، وقد ذكر أبو حيان عدة أقوال للنحاة للعامل في الظرف (5)

4. وقد تنازع العمل في "إِذ" وصفان في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عَمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴿٦﴾، "فإِذ" ظرف لسميع أو عليم. (7)

وقد اعترض أبو حيان على الزمخشري بقوله (8): "العامل فيه سميع، وهو ظاهر قول الزمخشري، أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها، وإِذ منصوب به انتهى؛ ولا يصح ذلك؛ لأن قوله (عليم) إما أن يكون خبراً بعد خبر، أو وصفاً لقوله (سميع)، فإن كان خبراً فلا يجوز الفصل به بين العامل والمعمول؛ لأنه أجنبي منهما، وإن كان وصفاً؛ فلا يجوز أن يعمل (سميع) في الظرف لأنه قد وُصِفَ، واسم الفاعل وما جرى مجراه إذا وُصِفَ قبل أخذ معموله لا يجوز له إذ ذاك أن يعمل، على خلاف لبعض الكوفيين في ذلك؛ ولأن اتصافه تعالى بسميع عليم لا يتقيد بذلك الوقت".

5. وقد تنازع العمل في "إِذ" فعلٌ ومصدرٌ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ (9)، فـ "إِذ" ظرف لقوله (صدق) أو (وعده).

¹ الأنفال: 48-49.

² التبيان: 627/2، البحر المحيط: 501/4.

³ آل عمران: 54-55.

⁴ الكشاف: 562/1.

⁵ انظر: البحر المحيط: 496/2.

⁶ آل عمران: 34-35.

⁷ انظر: الكشاف: 548/1.

⁸ البحر المحيط: 456-455/2، وانظر الآيات: آل عمران: 121-122، الأنفال: 43/8.

⁹ آل عمران: 152/3.

ثانياً: "إذ" المضافة إلى الجملة الاسمية

لقد جاءت "إذ" في القرآن الكريم مضافةً إلى الجملة الاسمية في اثني عشر (12) موضعاً، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي وردت فيها إذ، وعدد مرات ورودها في الآية الواحدة إن وردت أكثر من مرة.

رقم السورة	اسم السورة	أرقام الآيات	المجموع
6	الأنعام	.93	1
8	الأنفال	.42, 26	2
9	التوبة	.47	1
12	يوسف	.89	1
17	الإسراء	.31	1
32	السجدة	.12	1
34	سبأ	.31	1
40	غافر	.71, 18	2
53	النجم	.32	1
85	البروج	.6	1

1. قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (1)

حيث يرى ابن جني (2)، والزمخشري (3)، والعكبري (4)، وابن هشام (5) أن "إذ" في قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ بديل من إذ السابقة في قول تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. وعلى هذا القول يكون العامل في "إذ" الثانية هو نفسه العامل في "إذ" الأولى، وهو "نصره".

¹التوبة:40/10، وانظر الآيات: الأنعام:6/93، الأنفال:8/26 و42، يوسف:12/89، الإسراء:17/47، السجدة:32/12، سبأ:34/31، غافر:40/18 و71، النجم:53/32، البروج:85/6.

² المحتسب:1/291.

³ الكشاف: 3/45.

⁴ التبيان:2/644.

⁵ مغني اللبيب:89.

وقد حلَّ ابن جنبي إشكالاً وقع فيه بعضهم، وهذا الإشكال يكمن في السؤال الآتي: لماذا عُدَّت "إذ" الثانية، والثالثة بدليين من "إذ" الأولى، مع أن زمن "إذ" الأولى مختلف عن زمان "إذ" الثانية والثالثة؟

وقد أجاب ابن جنبي عن ذلك بقوله⁽¹⁾: "قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ بدل من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فإن قلت: فإن وقت إخراج الذين كفروا له قبل حصوله صلى الله عليه وسلم في الغار، فكيف يُبدل منه وليس هو هو، ولا هو أيضاً بعضه، ولا هو أيضاً من بدل الاشتمال؟، ومعاذ الله أن يكون من بدل الغلط؟

قيل: إذا تقارب الزمانان وُضِعَ أحدهما موضع صاحبه، ألا تراك تقول: شكرتك إذ أحسنت إليَّ، وإنما كان الشكر سبباً عن الإحسان، فزمان الإحسان قبل زمان الشكر، فأعلمت شكرت في مكان لم يقع فيه الشكر".

فمن خلال ما أورده ابن جنبي نخرج بنتيجة مفادها أنه إذا تقاربت الأزمنة يجعلنا نعدّها كالزمان الواحد. 2. وقد نقل العكبري⁽²⁾ والألوسي⁽³⁾ أن "إذ" الثانية ليس بدلاً من "إذ" الأولى، وأن العامل في "إذ" الثانية "ثاني اثنين".

ويرى الباحث أن "إذ" في قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ بدل من إذ السابقة في قول تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وأن "إذ" في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ بدل ثانٍ من قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾؛ والحجة في ذلك ما أورده ابن جنبي في كلامه السابق.

وفي مجال إضافة "إذ" إلى الجملة الاسمية، وأن هذه الإضافة لازمة أزال ابن هشام ورود "إذ" في بعض الأساليب مضافة إلى مفرد وليس إلى جملة، حيث يقول⁽⁴⁾: "وقد يحذف أحد شطري الجملة فيظن من لا خبرة له أنها أضيفت إلى المفرد ... كقول الأخطل:

كانت منازل آلاف عهدتهم
إذ نحن إذ ذاك دون الناس إخوانا⁽⁵⁾

والتقدير: عهدتهم إخوانا إذ نحن متآفون، إذ ذاك كائن، ولا تكون "إذ" الثانية خبراً عن نحن؛ لأنه زمان، ونحن اسم عين، بل هي ظرف للخبر المقدر، و"إذ" الأولى ظرف لعهدتهم، و(دون) إما

¹ المحتسب: 291/1.

² التبيان: 644/2.

³ روح المعاني: 96/10.

⁴ مغني اللبيب: 89-91.

⁵ ديوان الأخطل: 33.

ظرف له أو للخبر المقدر أو لحال من إخوانا محذوفة، أي متصافين دون الناس، ولا يمنع ذلك تنكير صاحب الحال، لتأخره، فهو كقوله⁽¹⁾

(2)

لمية موحشا ظلل

وقالت الخنساء⁽³⁾

إذ النَّاسُ إذ ذاك من عزِّ بزٍّ⁽⁴⁾

كأن لم يكونوا حمى يتقى

يقول ابن هشام⁽⁵⁾ محلاً هذا البيت: "إذ الأولى ظرف ليتقى، أو لحمي، أو ليكونوا إن قلنا إن كان الناقصة مصدرا، والثانية ظرف لبز، و(من) مبتدأ موصول لا شرط؛ لان (بز) عامل في (إذ) الثانية، ولا يعمل ما في حيز الشرط فيما قبله عند البصريين، و(بز) خبر من، والجملة خبر الناس، والعائد محذوف، أي من عز منهم، كقولهم: (السمن منوان بدرهم)، ولا تكون إذ الأولى ظرفا لبز؛ لأنه جزء الجملة التي أضيفت إذ الأولى إليها، ولا يعمل شيء من المضاف إليه في المضاف، ولا إذ الثانية بدلا من الأولى، لأنها إنما تكمل بما أضيفت إليه، ولا يتبع اسم حتى يكمل، ولا تكون خبرا عن الناس؛ لأنها زمان، والناس اسم عين، وذلك: مبتدأ محذوف الخبر، أي كائن، وعلى ذلك ففس". من خلال كلام ابن هشام السابق يتبين لنا أنه إذا ورد لدينا في عبارة ما أن "إذ" مضافة إلى مفرد فعلينا تقدير محذوف تكتمل به الجملة، وهذا يحتاج إلى تأنٍ وروية.

ثالثا: إذ التعليلية

اختلف النحاة في إذ التعليلية هل هي اسم (ظرف) أم حرف؟، وقد بينت فيما تقدم مدى التكلف الذي وقع فيه من قالوا بظرفية إذ التعليلية، ووضحت ما أقول بأمثلة، والآن سأقوم بدراسة تطبيقية لبعض الآيات التي تحمل إذ التعليلية، فسأقوم - إن شاء الله - بعرض لآية الكريمة، ومن ثم أقوم بإيراد أقوال النحاة، وما يرجح فيها من أقوالهم.

¹ الشاعر هو كثير عزة من فحول الشعراء، وهو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني، مدح عبد الملك، والكبار، وقال الزبير بن بكار، كان شيعيا يقول بتناسخ الأرواح، وكان خشبيا يؤمن بالرجعة، وبعضهم يقدمه على الفرزدق، والكبار، ت(107هـ). (خزانة الأدب: 533/1).

² هذا صدر بيت، وعجزه "يلوح كأنه خلل". (ديوان كثير: 11/2، الكتاب: 123/2، خزانة الأدب: 533/1).

³ هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد السلمية، ولدت سنة 575 للميلاد، لقبت بالخنساء لقصر أنفها وارتفاع أرنبتها، عرفت بحرية الرأي وقوة الشخصية، وقد كانت تتفاخر بهما، وبكرمها وجودها، وبعد ظهور الإسلام أسلمت وحسن إسلامها، ت(24هـ). (ديوان الخنساء: 5-6، الاستيعاب: 590/1)

⁴ لم أقف عليه في الديوان.

⁵ مغني اللبيب: 90.

1. قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (1)

وقد ابتدأت بهذه الآية؛ لأن النحويين يمثلون لـ "إذ" التعليلية بهذه الآية، وأوردوا فيها أقوالاً عديدة⁽²⁾.

أ. يرى الزمخشري أن "إذ" بدل من اليوم، حيث يقول⁽³⁾: "أي: لن ينفعمكم تمنيتكم؛ لأن حقكم أن تشاركونا في العذاب ... فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: "إذ ظلمتم؟" قلت: معناه، إذا صح وتبين لكم، ولم يبق لكم، ولا لأحدٍ شبهةً في أنكم كنتم ظالمين، وذلك يوم القيامة، و"إذ" بدل من اليوم، ونظيره قول الشاعر:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَدْنِي لَنِيْمَةٌ⁽⁴⁾
"أي تبين أني ولدٌ كريمه"⁽⁵⁾.

ويقول أبو حيان⁽⁶⁾: "ولا يجوز فيه البديل على بقاء إذ على موضوعها من كونها ظرفاً لما مضى من الزمان، فإن جعلت لمطلق الوقت جاز، وتخرجها على البديل أخذه الزمخشري من ابن جني، قال في مسأله أبو علي راجعته فيها مراراً، وآخر ما حصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان، وأنهما في حكم الله تعالى سواء؛ فيكون إذ بدلاً من اليوم حتى كأنها مستقبله، أو كأن اليوم ماضٍ، وقيل: التقدير بعد إذ ظلمتم فحذف المضاف للعلم به."

ب. قيل إن "إذ" ظرف العامل فيه الفاعل المقدر لا ضميره، والتقدير: "ولن ينفعمكم ظلمكم أو جحدكم إذ ظلمتم"⁽⁷⁾.

ويرى الحوفي⁽⁸⁾ أن هذا ليس بشيء - إذ ليست بدلاً من اليوم -؛ لأن العامل في "إذ" ما دل عليه المعنى، كأنه قال: ولكن لن ينفعمكم اجتماعكم، ثم جعله آخر الاشتراك، وأيضاً لا يجوز أن تكون إذ بدلاً من اليوم؛ لتغايرهما في الدلالة.
ج. وقيل إن إذ حرف للتعليل، وتكون حينئذ كاللام.

¹ الزخرف: 39/43.

² انظر: أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية: 29.

³ الكشاف: 444/5-445.

⁴ هذا صدر بيت لزائدة بن صعصعة، وعجزه: "ولم تجدى من أن تُقرى بها بدًا".

وسبب هذا البيت يكمن في أن زائد بن صعصعة كانت له امرأة فطمحت عليه، وكانت أمها سرية فقال هذا البيت.

⁵ البحر المحيط: 18/8.

⁶ البحر المحيط: 18/8، وانظر: التبيان: 1140/2، والدر المصون: 591/9.

⁷ الدر المصون: 592/9.

⁸ السابق: 592/9.

يقول ابن هشام⁽¹⁾ في تفسيره لهذه الآية: "ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب؛ لأجل ظلمكم في الدنيا".

ويدلل ابن هشام على صحة ما ذهب إليه بقوله⁽²⁾: "فإنه لو قيل: 'لن ينفعكم اليوم وقت ظلمكم الاشتراك في العذاب' لم يكن التعليل مستفاداً؛ لاختلاف زمني الفعلين، ويبقى إشكال في الآية، وهو أن "إذ" لا تُبدل من اليوم؛ لاختلاف الزمانين، ولا تكون ظرفاً لينفع؛ لأنه لا يعمل في ظرفين، ولا لمُشتركون؛ لأن معمول خبر الأفعال⁽³⁾ الخمسة لا يتقدم عليها؛ ولأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول، ولأن اشتراكهم في الآخرة لا في زمن ظلمهم".

يقول العكبري⁽⁴⁾ في تفسيره لهذه الآية: "فأما "إذ" فمشكلة الأمر؛ لأنها ظرف زمانٍ ماضٍ، ولن ينفعكم وفاعله واليوم المذكور ليس بـماضٍ".

يقول السمين الحلبي⁽⁵⁾: "قوله: 'إذ ظلمتم' قد استشكل المعربون هذه الآية، ووجهه أن قوله: 'اليوم' ظرفٌ حالٍ، و'إذ' ظرفٌ ماضٍ، و'ينفعكم' مستقبلٌ؛ لاقترانته بـ'لن' التي لنفي المستقبل الذي لم يقع بعدُ في ظرفٍ حاضرٍ، أو ماضٍ؟ هذا لا يجوز. فأجيب عن إعماله في الظرف الحالي على سبيل قربه منه؛ لأن الحال قريب من الاستقبال؛ فيجوز في ذلك".

2. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾⁽⁶⁾

لقد أورد النحاة وجهين لـ "إذ"، وهما:

أ. أن تكون للتعليل، ويكون التقدير: لقد من الله على المؤمنين؛ لأنه بعث فيهم رسولاً، وهذا ما أخذ به الألويسي⁽⁷⁾

ب. أن تكون إذ ظرفاً لما مضى من الزمان، العامل فيه من، ذكره الألويسي⁽⁸⁾.

والراجح عندي أن "إذ" هنا تعليلية؛ لأن إرسال الرسول -صلى الله عليه وسلم- أكبر نعمة أنعم الله بها على المؤمنين.

¹ مغني اللبيب: 86.

² السابق: 86.

³ في المغني (لأن معمول خبر الأحرف الخمسة).

⁴ التبيين: 1139/2-1140.

⁵ الدر المصون: 590/9-591، وانظر: البحر المحيط: 18/8.

⁶ آل عمران: 164/3.

⁷ روح المعاني: 164/1.

⁸ روح المعاني: 164/1.

3. قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾⁽¹⁾

1. قالوا إن "إذ" ظرف لما مضى من الزمان, واختلفوا في العامل على أقوال منها:

أ- العامل قدروا, ذكره العكبري⁽²⁾, و أبو حيان.⁽³⁾

ب- العامل قدره, ذكره السمين الحلبي, ونسبه إلى ابن عطية⁽⁴⁾

2. أن تكون تعليلية, قاله أبو حيان⁽⁵⁾, فيكون التقدير: وما قدروا الله حق قدره؛ لأنهم قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء.

وما قاله أبو حيان أرجح عندي مما ذهب إليه السمين الحلبي.

4. قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾⁽⁶⁾

آراء المفسرين في إذ هذه:

1. إذ ظرف لما مضى من الزمان, والعامل فيه أحسن, أو صنعه, فيكون التقدير على الوجه

الثاني: وقد أحسن صنعه بي إذ أخرجني, قاله أبو البقاء.⁽⁷⁾

ويرى السمين أن هذا لا يصح؛ لأن حذف المصدر وإبقاء معموله لا يصح عند البصريين.⁽⁸⁾

2. أن إذ تعليلية, والتقدير: وقد أحسن بي؛ لأنه أخرجني من السجن., وهذا ما ذهب إليه أبو حيان⁽⁹⁾

والأقرب رأي أبي حيان؛ لأنه لو قلنا بظرفية "إذ" في هذه الآية لكان إحسان الله -تعالى- في

هذا الموقف دون غيره, مع أن نعم الله على يوسف -عليه السلام- وغيره لا تُعد ولا تُحصى, ولكن

يوسف -عليه السلام- ذكر هذه النعمة دون غيرها؛ لأن الموقف يتطلب ذلك.

¹ الأنعام: 91/6.

² التبيان: 259.

³ البحر: 181/4.

⁴ الدر المصون: 184/5.

⁵ البحر: 181/4.

⁶ يوسف: 100/12.

⁷ التبيان: 355.

⁸ الدر المصون: 558/2.

⁹ روح المعاني: 76/13.

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية لـ (إذا) في القرآن الكريم.

لقد وردت "إذا" في القرآن الكريم ثلاثمائة وسبعة وتسعين (397) مرة، ولقد وردت شرطية متضمنة معنى الشرط، وظرفية متمحضة للظرف، وفجائية، وفي مواضع أخرى محتملة الشرطية الظرفية، والظرفية فقط، وسأقوم بدراسة كل قسم على حده.

"إذا" الظرفية الشرطية

لقد وردت (إذا) ظرفية، وكانت ترد أحياناً ظرفية متمحضة للظرف، وفي أحيان أخرى ترد ظرفية متضمنة معنى الشرط، وقد كان نصيب الأسد لـ (إذا) المتضمنة معنى الشرط؛ حيث وردت مائتين واثنين وعشرين (224) مرة في كتاب الله، في حين أن أخواتها لم يردن إلا مائة و سبعين (170) مرة، ووردت (إذا) في ثلاثة مواضع محتملة الظرفية، ومحتملة الشرطية.

أولاً: إذا الشرطية المضافة إلى الجملة الفعلية

حيث وردت مائتين واثنين وعشرين (224) مرة في كتاب الله، وكانت ترد على النحو التالي:

- إذا الشرطية المضافة إلى الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ لفظاً لا معنىً

من المعلوم لدينا أن (إذا) ظرف للمستقبل غالباً، متضمن معنى الشرط غالباً، ويختص بالدخول على الجملة الفعلية، ويكون الفعل معه ماضياً لفظاً، مستقبلاً معنىً، وهذا الغالب عليه، ولقد جاءت (إذا) الشرطية مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنىً في مائتين وأحد عشر موضعاً (211) موضعاً في كتاب الله، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي وردت فيها إذا الشرطية المضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنىً، وعدد مرات ورودها في الآية الواحدة إن وردت أكثر من مرة.

المجموع	أرقام الآيات	اسم السورة	رقم السورة
20	11 , 13 , 14(2) , 20 , 76 , 91 , 117 , 156 , 170 , 186 , 196 , 198 , 200 , 205 , 206 , 222 , 231 , 232 , 234 , 282 .	البقرة	2
5	47 , 119(2) , 135 , 159 .	آل عمران	3
11	8 , 25 , 58 , 61 , 81 , 83 , 86 , 94 , 103 , 140 , 142	النساء	4
7	2 , 6 , 23 , 58 , 61 , 83 , 104 .	المائدة	5

4	.152 , 124 , 68 , 54	الأنعام	6
5	.204 , 47 , 34 ، 28	الأعراف	7
5	.45 , 31 , 15 , (2)2	الأنفال	8
5	.127 , 124 , 92 , 86 , 5	التوبة	9
6	.51 , 49 , 47 , 21 , 15 , 12	يونس	10
1	.11	الرعد	13
1	.29	الحجر	15
5	.101 , 98 , 54 ,53 , 24	النحل	16
8	.104 , (2)83 , 67 , 46 , 45 , 16 , 5	الإسراء	17
1	.98	الكهف	18
3	.73 , 58 , 35	مريم	19
1	.36	الأنبياء	21
4	.72 , 36 , 35 , 5	الحج	22
3	.101 , 28 , 27	المؤمنون	23
6	.(2)62 , 61 , 59 , 48 , 40	النور	24
8	.73 , 72 , 67 , 63 , 60 , 41 , 13 , 12	الفرقان	25
1	.80	الشعراء	26
2	.82 , 34	النمل	27
3	.55 , 53 , 7	القصص	28
1	.65	العنكبوت	29
4	.48 , 36 , 33 , 25	الروم	30
3	.32 , 21 , 7	لقمان	31
4	.(2)53 , 49 ,19	الأحزاب	33

1	.43	سبأ	34
1	.45	فاطر	35
2	.47 , 45	يس	36
3	.177 , 14 , 13	الصافات	37
1	.72	ص	38
4	.(2)49 , 45 , 8	الزمر	39
2	.51 , 39	فصلت	.7 , 6
3	.48 , 39 , 37	الشورى	.37
1	.17	الزخرف	43
3	.32 , 25 , 9	الجاثية	45
2		الاحقاف	46
1		الرحمن	55
2	.4 , 1	الواقعة	56
3	.12 , 10	المجادلة	58
3	.11 , 10 , 9	الجمعة	62
3	.5 , 4 , 1	المنافقون	63
2	.2 , 1	الطلاق	65
1	.16 , 7	الملك	67
1	.15	القلم	68
1	.13	الحاقة	69
1	.8	المدثر	74
2	.18 , 7	القيامة	75
3	.28 , 20 , 19	الإنسان	76
5	.48 , 11 , 10 , 9 , 8	المرسلات	77
1	.34	النازعات	79

1	.33	عبس	80
14	, 17 , 13 , 12 , 11 , 10 , 8 , 7 , 6 , 5 , 4 , 3 , 2 , 1 .18	التكوير	81
4	.4 , 3 , 2 , 1	الانفطار	82
5	.32 , 31 , 30 , 3 , 2	المطففين	83
2	.3 , 1	الانشقاق	84
3	.21 , 16 , 15	الفجر	89
1	.7	الشرح	94
1	.1	الزلزلة	99
1	.1	النصر	110

ومن الآيات التي وردت فيها (إذا) الشرطية مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنىً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾⁽¹⁾ يقول ابن قتيبة⁽²⁾: "إذا) ظرفية شرطية متعلقة بمعنى الجواب، والتقدير تلزم الكتابة إذا تدايَنْتُمْ، ولا تتعلق بـ (اكتبوه)؛ لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها".
ومع ورود "إذا" الشرطية بكثرة في القرآن إلا أنني كما أشرت في الفصل الأول أن جوابها إما أن يكون فعلاً، وإما أن يكون جملة اسمية مقرونة بالفاء، وإما أن يكون جملة اسمية مقرونة بإذا الفجائية، وإما أن يكون جملة فعلية طلبية.

إذا الشرطية المضافة إلى الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ لفظاً و معنىً:

لم تقع (إذا) الشرطية في كتاب الله - تعالى - مضافةً إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً و معنىً إلا في موضع واحد من كتاب الله - تعالى -، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾⁽³⁾ يرى القرطبي أن (إذا) في هذه الآية وقعت موقع (إذ)، حيث يقول⁽⁴⁾ في تفسيره للآية: "وقيل: المعنى وإذا رأوا تجارةً انفضوا إليها أو لهواً انفضوا إليه".

¹ البقرة: 282/2.

² مشكل إعراب القرآن: 48/3.

³ الجمعة: 11/62.

⁴ الجامع لأحكام القرآن: 84/9.

من خلال كلام القرطبي يتبين لنا أنه يرى أن (إذا) واقعة موقع (إذ)؛ لأنه نقل القول من دون أن يعلق عليه.

إن وضع (إذا) موضع (إذ) لم يأت إلا لفائدة بلاغية، وهي للدلالة على ثبوت الأمر في مستقبل الزمان، وهذا ما يطلق عليه البلاغيون التعبير عن المضارع بصيغة الماضي، كما أشرت في الفصل الأول من هذه الدراسة.

من خلال الكلام السابق يتبين لنا أن أي آية كريمة توضع فيها (إذا) موضع (إذ)، أو يُعبر بالماضي بدلاً من المضارع؛ تكون فائدتها البلاغية واحدة، وهي الدلالة على ثبوت الأمر في المستقبل، و أن أي آية كريمة توضع فيها (إذ) موضع (إذا)، أو يُعبر بالمضارع بدلاً من الماضي؛ تكون فائدتها البلاغية واحدة، وهي الدلالة على الجزم بالأمر وتحقق وقوعه، وممن يرى ذلك ابن هشام، حيث يقول في حديثه عن خروج إذا عن الاستقبال⁽¹⁾: "وذلك على وجهين: أحدهما: أن تجيء للماضي كما جاءت "إذ" للمستقبل، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾⁽³⁾....".

يقول الألويسي⁽⁴⁾: "قالوا: إن (إذا) فيها قد خرجت عن الاستقبال، واستعملت للماضي، كما في قوله⁽⁵⁾:
وَنَدْمَانِ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيبًا
سَقَيْتُ (إِذَا) تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ⁽⁶⁾
والتقدير سقيت حتى تغوّرت النجوم، وليس حتى تتغور النجوم.

ولكنني أرى الألويسي لا يرى ذلك؛ لأنه اكتفى بالنقل، وليس ذلك فحسب، بل أورد دليلهم من كلام العرب دون أن يعلق أو أن يُبدي أي رأي سواءً بالإيجاب، أو بالسلب، ولم يعلق على شاهدتهم.

ويرى الباحث أن (إذا) في هذه الآية ظرفية بمعنى (حين)، غير متضمنة معنى الشرط، وأنها واقعة موقع (إذ)؛ لأن الله - عزَّ وجلَّ - أراد أن يبين لنا أن هذا الأمر ثابت عندهم في المستقبل؛ فهذا ديدنهم في كل وقت؛ لذلك فإن الله - تعالى - حذرنا منهم؛ حتى نبقي على حذر منهم.

¹ مغني اللبيب: 100/1.

² سبق تخريجها.

³ سبق تخريجها.

⁴ روح المعاني: 105/28.

⁵ الشاعر هو اليرج بن مسهر بن جلاس بن الأرت الطائي، من معمرى الجاهلية، كانت إقامته في ديار طيّ (بلاد شمر، اليوم) بنجد شعره، ت 30ق.هـ. (بلوغ الأرب: 299/3).

⁶ البيت في الأغاني: 12/14، لسان العرب: 243/10، وبلا نسبة في مغني اللبيب: 100/1.

إذا الشرطية المضافة إلى الجملة الفعلية التي فعلها مضارع لفظاً و معنى

لقد جاءت (إذا) الشرطية مضافة إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً ومعنى في اثنتي عشرة آية، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي وردت فيها إذا الشرطية مضافة إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً ومعنى، وعدد مرات ورودها في الآية الواحدة إن وردت أكثر من مرة.

رقم السورة	اسم السورة	أرقام الآيات	المجموع
8	الأنفال	.31	1
10	يونس	.15	1
17	الإسراء	.107	1
19	مريم	.73 , 58	2
22	الحج	.72	1
31	لقمان	.7	1
34	سبأ	.43	1
45	الجاثية	.25	1
46	الأحقاف	.7	1
68	القلم	.15	1
83	المطففين	.13	1

علماً بأن جميع هذه المواضع الاثنا عشر، كان مضارعها واحداً، وهو مضارع (تلا) جاء بعد (إذا) الشرطية مبنياً للمجهول.

يقول أبو حيان⁽¹⁾: "وفي هذا التركيب جواز وقوع المضارع بعد (إذا) وجوابه الماضي جوازاً فصيحاً بخلاف أدوات الشرط؛ فإنه لا يجوز ذلك فيها إلا في الشعر".

جواب (إذا) الشرطية

قد يرد جواب (إذا) الشرطية في بعض الأحيان جملة فعلية، وأحياناً يرد جملة اسمية.

- "إذا" الشرطية جوابها جملة فعلية:

لقد وردت "إذا" الشرطية وجوابها جملة فعلية في آيات كثيرة، ولقد كان الجواب يأتي أحياناً جملة فعلية غير طلبية، وأحياناً يأتي جملة فعلية طلبية، ومن الآيات التي جاء فيها جواب إذا

¹ البحر المحيط:4/482.

الشرطية جملة فعلية غير طلبية قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (1)

ومع ورود "إذا" شرطية ظرفية جوابها جملة فعلية غير طلبية إلا أنه وردت أقوال في العامل فيها: أ. يرى ابن عطية والعكبري أن العامل فيها "قالوا".

يقول ابن عطية⁽²⁾: "والعامل في "إذا" في هذه الآية "قالوا" .

يقول العكبري⁽³⁾: "إذا" في موضع نصب على الظرف، والعامل فيها جوابها".

ب. ويرى آخرون أن العامل فيها قيل. (4)

ويرى الباحث أن الحق فيما ذهب إليه ابن عطية، والعكبري، وليس ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني؛ لأن قيل في موضع جر بإضافة إذا إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف.

ومن الآيات التي وردت فيها "إذا" الشرطية جوابها جملة فعلية طلبية قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ

اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ (5)

وقد اختلف في العامل في (إذا) على عدة أقوال:

أ. يرى الزمخشري⁽⁶⁾ والرضي⁽⁷⁾ والألوسي⁽⁸⁾ أن العامل في "إذ" فسبح، حيث يقول الزمخشري⁽⁹⁾:

"(إذا) منصوب بـ"سبح"، وهو لما يستقبل، والإعلام بذلك وقع قبل النبوة".

ويقول الرضي⁽¹⁰⁾: "قلنا: إن الفاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (1) إلى

قوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾ زائدة؛ زيدت؛ ليكون الكلام على صورة الشرط والجزاء.... وإنما حكمنا بزيادتها؛ لأن فائدتها التعقيب، و"إذا" جاء ظرف للتسبيح، فلا يكون التسبيح عقيب المجيء، بل في وقت المجيء".

¹ البقرة: 11/2.

² المحرر الوجيز: 121/1.

³ التبيان: 27/1.

⁴ السابق: 27/1.

⁵ النصر: 3-1/111.

⁶ الكشاف: 450/6.

⁷ شرح الرضي: 190.

⁸ روح المعاني: 255/30.

⁹ الكشاف: 450/6.

¹⁰ شرح الرضي: 190.

ويقول الألويسي⁽¹⁾: "و (إذا) منصوب بسبح, والفاء غير مانعة على ما عليه الجمهور, وأبو حيان على أنها معمولة للفعل بعدها, وليست مضافة إليه".

ويقصد الألويسي بقوله: "والفاء غير مانعة" أن الفاء في جواب الشرط لا تمنعه أن يكون هو العامل في (إذا) الشرطية.
ب. وذهب الحوفي⁽²⁾ والنحاس⁽³⁾, وأبو حيان⁽⁴⁾ أن العامل في "إذا" هو الفعل جاء.

وقد خالف أبو حيان الزمخشري, وردَّ عليه بقوله⁽⁵⁾: "ولا يصح إعمال (فسبح) في (إذا) لأجل الفاء؛ لأن الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط, فلا تعمل فيه, بل العامل في "إذا" الفعل الذي بعدها على الصحيح المتصور في علم العربية".⁽⁶⁾

ويقصد بقوله: (على الصحيح المتصور في علم العربية) أن المتصور خلاف ما عليه الجمهور, فالجمهور يرون أن ناصب (إذا) الشرطية جوابها, وأنها مضافة إلى الفعل الذي يليها.⁽⁷⁾
ج. وذهب القرطبي إلى أن إذا هنا بمعنى قد, وقد علل ذلك بأن نزول هذه السورة كان بعد فتح مكة, حيث يقول⁽⁸⁾: "و"إذا" بمعنى قد, أي: قد جاء نصر الله؛ لأن نزولها بعد الفتح".
ويرى الباحث أن (إذا) هنا بمعنى قد, وأن العامل في (إذا) هو الفعل جاء, وليس جواب الشرط.

- "إذا" الشرطية جوابها جملة اسمية:

وكان جواب إذا الشرطية يأتي على عدة صور, وهي:

* "إذا" الشرطية جوابها جملة اسمية مقروناً بالفاء:

لقد جاء جواب إذا الشرطية جملة اسمية, وقد كان هذا الجواب يأتي مقروناً بالفاء, ومن ذلك

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَرْنَا فِي النَّافُورِ فَذَلِكَ يَوْمًا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾⁽⁹⁾

¹ روح المعاني: 255/30.

² البحر المحيط: 524/8.

³ إعراب النحاس: 303/5.

⁴ البحر المحيط: 524/8.

⁵ السابق: 524/8.

⁶ السابق: 524/8.

⁷ السابق: 524/8 في الحاشية.

⁸ الجامع لأحكام القرآن: 167/10.

⁹ المدثر: 8.

أ. يرى كلُّ من الزمخشري⁽¹⁾ والعكبري⁽²⁾ والألوسي⁽³⁾ أن العامل في إذا ما دل عليه الجزاء، وهو العسر المستفاد من قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمًا عَسِيرٌ﴾⁽⁴⁾

يقول الزمخشري⁽⁵⁾: "انتصب "إذا" بما دل عليه الجزاء؛ لأن المعنى: فإذا نُقِر في الناقر عسر الأمر على الكافرين".

ويقول العكبري⁽⁶⁾: "العامل فيه ما دل عليه عسير؛ أي: تعسير، ولا يعمل فيه نفس عسير؛ لأن الصفة لا تعمل فيما قبلها".

ولعدم عراقة "إذا" في الشرطية، ورسوخها فيها، جاز مع كونها للشرط أن يكون جزاؤها جملة اسمية غير مقترنة بالفاء⁽⁷⁾

ب. يرى الحوفي أن العامل في "إذا" أنذر المحذوفة، أي: فأنذرهم إذا نُقِر في الناقر.⁽⁸⁾

ج. العامل ما دل عليه "فذلك"؛ لأنه إشارة إلى النقر، و"يومئذ": بدل من "إذا"، وذلك مبتدأ، والخبر "يوم عسير"؛ أي: نقرَ اليوم، وهذا أحد قولي العكبري.⁽⁹⁾

ولم يرتضِ ابن هشام بذلك، حيث يقول⁽¹⁰⁾: "وأما قول أبي البقاء إنه يكون مدلولاً عليه بذلك فإنه إشارة إلى النقر فمردود، لأدائه إلى اتحاد السبب والمسبب، وذلك ممتنع، وأما نحو قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"⁽¹¹⁾، فمؤول على إقامة السبب مقام المسبب، لاشتتار المسبب، أي فقد استحق الثواب العظيم المستقر للمهاجرين".

د. ويرى الأخفش أن "إذا" هنا مبتدأ، والخبر فذلك.⁽¹²⁾

¹الكشاف: 254/6.

²التبيان: 1249/2.

³روح المعاني: 120/29.

⁴المدثر: 8.

⁵الكشاف: 254/6.

⁶التبيان: 1249/2.

⁷شرح الرضي على الكافية: 191/1.

⁸البحر المحيط: 364/8.

⁹التبيان: 1249/2.

¹⁰مغني اللبيب: 102/1.

¹¹صحيح البخاري، باب بدء الوحي، حديث رقم (53).

¹²التبيان: 1249/2، وانظر: مغني اللبيب: 102/1، والبحر المحيط: 365/8.

وقد رفض ابن هشام ما ذهب إليه الأخفش، حيث يقول ابن هشام معلقاً على هذه الآية⁽¹⁾: "ولا تعمل الصفة فيما قبل الموصوف، وتخريج بعضهم هذه الآية على أن إذا مبتدأ وما بعد الفاء خبر لا يصح إلا على قول أبي الحسن ومن تابعه في جواز تصرف إذا وجواز زيادة الفاء في خبر المبتدأ، لأن عسر اليوم ليس مسبباً عن النقر، والجيد أن تخرج على حذف الجواب مدلولاً عليه بعسير، أي عسر الأمر".

ويرى الباحث أن الرأي الراجح هو ما ذهب إليه الزمخشري، والعكبري، والألوسي من أن العامل في إذا ما دل عليه الجزاء، وهو العسر المستفاد من قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، والتقدير فإذا نقر في الناقر عسر اليوم.

ولقد جاء في القرآن جواب (إذا) غير مقرون بالفاء في مواضع يجب اقتران الجواب فيها بالفاء في الأدوات الجازمة، حيث جاء جواب (إذا) مصدرًا بما النافية غير مقرون بالفاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَتَلَا عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا بِآبَائِنَا﴾.⁽²⁾

وجاء جواب (إذا) مصدرًا بأن النافية غير مقرون بالفاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا﴾.⁽⁴⁾

أما أبو حيان فقال: إن الجواب لا يحتاج إلى الفاء مع (إذا) خاصة، فلا يجب في جوابها - إذا كان مصدرًا بما، أو (إن) - أن يوتي معها بالفاء؛ كما يوتي في بقية أدوات الشرط من غير (إذا).

قال أبو حيان⁽⁵⁾: "ولم يحتج إلى الفاء في الجواب... بخلاف أدوات الشرط، فإنه إذا كان الجواب مصدرًا بما النافية فلا بد من الفاء". وقال أيضاً⁽⁶⁾: "وانفردت (إذا) بأنه إذا كان جوابها منفياً بما، أو (لا) لا تدخله الفاء؛ بخلاف أدوات الشرط غيرها فلا بد من الفاء مع (ما)، أو (لا)، إذا ارتفع المضارع، فلو وقعت (إن) النافية في جواب غير (إذا) فلا بد من الفاء كما النافية".

- إذا الشرطية جوابها جملة اسمية مقروناً بإذا الفجائية:

و"إذا" الفجائية لا تقع في الابتداء مطلقاً، وهي حرف غير عامل، ولا يحتاج إلى جواب، وتختص بالدخول على الجملة الاسمية، ومعناها الحال لا الاستقبال، ويكون الاسم بعدها مبتدأً.

¹ مغني اللبيب: 102/1.

² الجاثية: 25/45.

³ الأنبياء: 36/21.

⁴ الفرقان: 41/25.

⁵ البحر المحيط: 312/6.

⁶ السابق: 500/6.

ومن المواضع التي وردت فيها "إذا" الفجائية جواباً لـ "إذا" الشرطية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾⁽¹⁾، فـ "إذا" الأولى في قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ للشرط، والثانية في قوله تعالى: ﴿إِذَا أَنْتُمْ﴾ للمفاجأة، وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط؛ لاشتراكهما في التعقيب.⁽²⁾

ولقد جاءت (إذا) الفجائية رابطة لجواب (إن) الشرطية في آيتين :

1. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾⁽³⁾
يرى العكبري⁽⁴⁾، أبو حيان⁽⁵⁾ أن العامل في (إذا) يسخطون.
يقول العكبري⁽⁶⁾: "قوله: (إذا هم): إذا هنا للمفاجأة، وهي ظرف مكان، وجُعِلت في جواب الشرط كالفاء؛ لما فيها من المفاجأة، وما بعدها ابتداء وخبر، والعامل في (إذا) يسخطون".
ويقول أبو حيان⁽⁷⁾: "وما أحسن مجيء جواب هذين الشرطين؛ لأن الأول⁽⁸⁾ لا يلزم أن يقارنه، ولا أن يعتقبه، بل قد يجوز أن يتأخر، نحو، إن أسلمت دخلت الجنة، فإنما يقتضي مطلق الترتيب؛ وأما جواب الشرط الثاني فجاء بإذا الفجائية، وإنه إذا لم يُعْطُوا فاجأ سخطهم، ولم يمكن تأخره؛ لما جبلوا عليه من محبة الدنيا والشه في تحصيلها".
2. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْتِنُونَ﴾⁽⁹⁾.
يقول العكبري⁽¹⁰⁾: "قوله تعالى: (إذا هم): (إذا) مكانية للمفاجأة نابت عن الفاء في جواب الشرط؛ لأن المفاجأة تعقيب، ولا يكون أول الكلام".
ويقول أبو حيان⁽¹¹⁾: "و (إذا هم) جواب (وإن تصيبهم) يقوم مقام الفاء في الجملة الاسمية الاسمية الواقعة جواباً للشرط".

¹ الروم: 25/30.

² روح المعاني: 34/21.

³ التوبة: 58/9.

⁴ التبيان: 647/2.

⁵ البحر: 57/5.

⁶ التبيان: 647/2.

⁷ البحر: 57/5.

⁸ يقصد قوله تعالى: "فإن يُعْطُوا منها رضوا"، (التوبة: 58/9)، ورُوي أن سبب نزول هذه الآية، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بصدقة فقسماها، ووراءه رجل من الأنصار، فقال: "ما هذا بالعدل" فنزلت الآية، ورُوي من طريق غيره أنها نزلت في المنافقين. (المحرر الوجيز: 338/4).

⁹ الروم: 36/30.

¹⁰ التبيان: 1041/2.

¹¹ البحر المحيط: 169/7.

ثانياً: "إذا" الظرفية

لقد وردت (إذا) الظرفية في مائة وأربعة وعشرين (124) موضعاً من كتاب الله، حيث وردت (إذا) الظرفية مضافةً إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى، وأحياناً كانت ترد مضافةً إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنى، وفي بعض الأحيان كانت ترد مضافةً إلى جملة فعلية فعلها مضارع.

إذا الظرفية مضافةً إلى الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ لفظاً لا معنى:

لقد وردت (إذا) الظرفية مضافةً إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى في أربعة وسبعين موضعاً من كتاب الله، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي وردت فيها إذا الظرفية مضافةً إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنى، وعدد مرات ورودها في الآية الواحدة إن وردت أكثر من مرة.

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآيات	المجموع
2	البقرة	177 , 180 , 233 , 239 , 282(2).	6
3	آل عمران	.25	1
4	النساء	.4 , 41 , 62.	3
5	المائدة	.5 , 89 , 93 , 105 , 106.	5
6	الأنعام	.99 , 109 , 141.	3
7	الأعراف	.201	1
8	الأنفال	.24	1
9	التوبة	.38 , 94 , 95 , 122.	4
11	هود	.62 , 102 , 110.	3
16	النحل	.40 , 91.	2
17	الإسراء	.35 , 107.	2
18	الكهف	.17 , 24.	2
22	الحج	.52	1
23	المؤمنون	.35	1
24	النور	.51	1
26	الشعراء	.130	1
27	النمل	.62 , 80.	2
30	الروم	.52	1

1	.15	السجدة	32
2	.37 , 36	الأحزاب	33
1	.7	سبأ	34
1	.82	يس	36
1	.35	الصفافات	37
3	.78 , 68 , 12	غافر	40
1	.13	الزخرف	43
2	.27 , 18	محمد	47
1	.15	الفتح	48
1	.1	النجم	53
1	.83	الواقعة	56
1	.10	الممتحنة	60
1	.11	المنافقون	63
2	.21 , 20	المعارج	70
1	.4	نوح	71
1	.34	المدثر	74
1	.22	القيامة	75
2	.18 , 17	النازعات	79
1	.22	عبس	80
1	.18	الانشقاق	84
1	. 3 , 2	الشمس	91
2	.11 , 2	الليل	92
1	.2	الضحى	93
1	.10	العلق	96
1	.9	العاديات	100
2	.5 , 3	الفلق	113

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (1)

وبالرغم من تمحض (إذا) في هذه الآية للظرفية إلا أن بعض النحاة أجاز أن تكون شرطية، حيث إنه ذكر لـ (إذا) عدة أوجه إعرابية، ومع كل وجه يجعل عاملاً لها، وإليك الوجوه التي ذكرها ابن عطية:

أ. أن العامل في (إذا) (كُتِبَ)، وفي هذه الحالة تكون ظرفية.
يقول ابن عطية⁽²⁾: "و(كُتِبَ) عامل في رفع (الوصية) على المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله في بعض التقديرات".

ب. أن العامل الايضاء، فيكون تقدير الآية: كُتِبَ عليكم الايضاء إذا حضر أحدكم الموت، فثائب الفاعل هو الايضاء الذي دلت عليه الوصية، و (إذا) معمولة لهذا الايضاء، والوصية ترتفع بالابتداء.

يقول ابن عطية⁽³⁾: "ويتَّجِه في إعراب هذه الآية أن يكون "كُتِبَ" هو العامل في "إذا"، والمعنى: توجَّه عليكم إيجابُ الله ومقتضى كتابه إذا حضر، فعبر عن توجُّه الإيجاب بكُتِبَ، لينتظم إلى هذا المعنى أنه مكتوبٌ في الأزل، و "الوصية" مفعولٌ لم يُسمَّ فاعله بكُتِبَ. وجواب الشرطين "إن" و "إذا" مقدرٌ يدلُّ عليه ما تقدَّم من قوله: (كُتِبَ عليكم)، كما تقول: شكرت ففعلك إن جئتني إن كان كذا وكذا".

ويرى أبو حيان أن في هذا تناقضاً لأنه جعل العامل في "إذا" كُتِبَ، وذلك يستلزم أن يكون "إذا" ظرفاً محضاً غير متضمن للشرط، وهذا يناقض قوله: "جواب" "إذا" و "إن" محذوف؛ لأنَّ إذا الشرطية لا يعمل فيها إلا جوابها أو فعلها الشرطي، و "كُتِبَ" ليس أحدهما، فإن قيل: قومٌ يجيزون تقديم جواب الشرط فيكون "كُتِبَ" هو الجواب، ولكنه تقدَّم، وهو عاملٌ في "إذا" فيكون ابن عطية يقول بهذا القول. فالجواب: أن ذلك لا يجوز، لأنه صرَّح بأنَّ جوابها محذوف مدلولٌ عليه بكُتِبَ، ولم يجعل كُتِبَ هو الجواب.⁽⁴⁾

ويرى الباحث أن الوجه الأول هو الراجح؛ لسببين:

أولهما: أننا لو فرضنا مبدئياً أن (إذا) في هذه الآية شرطية، فالتقدير يكون: كُتِبَ عليكم إذا حضر أحدكم الموت الوصية، فأحياناً يموت الإنسان دون أن يترك شيئاً؟ فبماذا يُوصي؟!

¹ البقرة: 180/2.

² المحرر الوجيز: 429/8.

³ السابق: 429/1.

⁴ البحر المحيط: 23-22/1.

ثانيهما: إن كل شرط يقتضي جواباً على حده، فلا يصح للشيء الواحد أن يكون جواباً لشرطين.

إذا الظرفية مضافةً إلى الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى

لقد وردت (إذا) الظرفية مضافةً إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى في ثلاثة وأربعين موضعاً من كتاب الله، وقعت (إذا) بعد حتى في واحد وأربعين منها، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي وقعت فيها (إذا) بعد حتى.

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآيات	المجموع
3	آل عمران	.152	2
4	النساء	.18 , 6	4
6	الأنعام	.61 , 44 , 31 , 25	3
7	الأعراف	.57 , 38 , 37	1
9	التوبة	.118	3
10	يونس	.90 , 24 , 22	1
11	هود	.40	1
12	يوسف	.110	7
18	الكهف	90 , 86 , 77 , 74 , 71 , .96 , 93 ,	1
19	مريم	.75	1
21	الأنبياء	.96	3
23	المؤمنون	.99 , 77 , 64	1
24	النور	.39	1
27	النمل	.84 , 18	2
34	سبأ	.23	2
39	الزمر	.73 , 71	1
40	غافر	.34	1
41	فصلت	.20	1
43	الزخرف	.38	1
46	الأحقاف	.15	2
47	محمد	.16 , 4	2

فإذا وقعت (إذا) بعد حتى، وجاء بعد حتى فعل ماضٍ، فـ (إذا) في هذه الحالة ظرفية مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى، وأما الموضعان الآخران فهما:

1. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾⁽¹⁾.

2. قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُّ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾⁽²⁾.

يقول القرطبي⁽³⁾ في تفسيره للآية الأولى: "وقوله: (إذا ضربوا) هو لما مضى؛ أي: إذ ضربوا ... فوق «إذا» «موقع «إذ» كما يقع الماضي في الجزاء موضع المستقبل".

ويقول ابن عطية⁽⁴⁾ في تفسيره للآية الأولى: "ودخلت (إذا) في هذه الآية، وهي حرف استقبال، من حيث (الذين) اسم فيه إبهام يعم من قال في الماضي، ومن قال في المستقبل، ومن حيث هذه النازلة تصور في مستقبل الزمان، ويطرد النهي للمؤمنين فيه. فوضعت (إذا) لتدل على اطراد الأمر في مستقبل الزمان، وهذه فائدة وضع المستقبل موضع الماضي... كما أن فائدة وضعهم الماضي موضع المستقبل للدلالة على ثبوت الأمر؛ لأن صيغة الماضي متحققة الوقوع".

ويرى ابن عطية ان العامل في (إذا) في الآية الثانية يُحتمل أن يكون (قلت)، ويحتمل أن يكون (تولوا)، حيث يقول⁽⁵⁾: "والعامل في (إذا) يُحتمل أن يكون (قلت)، ويكون قوله: (تولوا) مقطوعاً، ويُحتمل أن يكون العامل (تولوا)، ويكون تقدير الكلام: فقلت، أو يكون قوله: "قُلْتَ لَا أُجِدُّ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ" بمنزلة: وجدوك في هذه الحال".
والرازي يقف مع هذه الآية، وينظر لها من جانبيين⁽⁶⁾:

الجانب الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾، وهو ماضٍ، و(إذا) للمستقبل، والفائدة في التعبير بالماضي شيئان:

أ. أن الشيء الذي يكون لازم الحصول في المستقبل فقد يُعبر عنه بأنه حدث أو حادث.

¹ آل عمران: 156/3.

² التوبة: 91/9.

³ الجامع لأحكام القرآن: 188/2.

⁴ المحرر الوجيز: 399/2.

⁵ السابق: 385/4.

⁶ التفسير الكبير: 174/4.

ب. أنه تعالى لما عبر عن المستقبل بلفظ الماضي دل ذلك على أنه ليس المقصود الإخبار عن صدور هذا الكلام، بل المقصود الإخبار عن جدتهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة. الجانب الثاني: أن الكلام خرج على سبيل حكاية الحال الماضية، أي أن كل من يخبر في المستقبل عن هذه الحادثة يقول: قالوا.

ويرى الرازي أن الجانب الأول هو الصواب.

إن المتأمل لكلام الرازي يجد أنه علل ورود الأمر بهذه الصيغة من جانبين: الأول ما يتعلق بكل من سيأتي في المستقبل، وأن ما تعلل به هؤلاء المنافقون قد يأتي مثلهم من يتعلل به.

والثاني يتعلق بحال من يندرع، ويتعذر بهذا العذر، وأنهم اجتهدوا في تأكيد هذا الكلام؛ ليلاقى منهم القبول عند الرسول صلى الله عليه وسلم.

(إذا) الظرفية مضافةً إلى الجملة الفعلية التي فعلها مضارع لفظاً ومعنى

لقد وردت (إذا) الظرفية مضافةً إلى جملة فعلية فعلها مضارع في سبعة مواضع من كتاب الله وهذه المواضع: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَأْيَةٌ قَالُوا لَوْ كُنَّا اجْتَنِبْتَهَا﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الرِّجَالِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾⁽⁴⁾ 45 ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾⁽⁶⁾، وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾⁽⁷⁾

يقول الزمخشري⁽⁸⁾ في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾⁽¹⁾ والنهار إذا تجلى⁽⁹⁾: "فأما

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾⁽¹⁾ والنهار إذا تجلى⁽⁹⁾ فشهد على جواز وقوع كل واحد من المضارع والماضي بعدها".

¹ الأعراف: 203/7.

² الأنبياء: 45/21.

³ الشورى: 29/42.

⁴ النجم: 46-45/53.

⁵ الفجر: 4/89.

⁶ الشمس: 4/91.

⁷ الليل: 1/92.

⁸ الكشاف: 121/3، وانظر: شرح المفصل: 96/4.

⁹ الليل: 2-1/92.

لقد بين الزمخشري في قوله أن إذا تختص بالدخول على الجملة الفعلية سواء أكان فعلها ماضٍ أم مضارع، والآيتان السابقتان خيرٌ شاهدٍ على ذلك، ففي الآية الأولى دخلت إذا على الفعل المضارع، وفي الآية الثانية دخلت إذا على الفعل الماضي.

وقال الرضي في شرح الكافية⁽¹⁾: "ليس في (إذا) في نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ معنى الشرط؛ إذ جواب الشرط إما بعده، أو مدلول عليه بما قبله، وليس بعده ما يصلح للجواب، لا ظاهراً ولا مقدرًا؛ لعدم توقف معنى الكلام عليه، وليس هاهنا ما يدل على جواب الشرط قبل (إذا) إلا القسم فلو كان (إذا) للشرط كان التقدير: إذا يغشى أقسم، فلا يكون القسم منجزاً بل معلقاً بغشيان الليل، وهو ضد المقصود، إذ القسم بالضرورة حاصل وقت التكلم بهذا الكلام، وإن كان نهراً غير متوقف على دخول الليل".

من خلال ما سبق يتضح لنا أن السبب الذي جعل الرضي يصدر حكماً على (إذا) التي تأتي بعد القسم بأنها متمحضة للظرف، وليست شرطية هو أن القسم يجب أن يكون حاصلًا وقت التحدث بالشيء، وليس معلقاً بحدوث الشيء مستقبلاً.

وبقول الرضي أخذ ابن هشام، حيث يقول⁽²⁾: "والصحيح أنه لا يصح التعليق بأقسام الإنشائي، لأن القديم لا زمان له، لا حال ولا غيره، بل هو سابق على الزمان، وأنه لا يمتنع التعليق بكائنا مع بقاء إذا على الاستقبال، بدليل صحة مجيء الحال المقدره باتفاق، كمررت برجل معه صقر صائداً به غدا، أي: مقدرًا الصيد به غدا، كذا يقدرون".

وقد اختلف المفسرون والنحويون في تقدير العامل في (إذا) الواقعة بعد القسم على أقوال: أ. يرى النحاس⁽³⁾، الزركشي⁽⁴⁾، والألوسي⁽⁵⁾ أن العامل في الظرف فعل القسم المحذوف، وهذا أحد الوجهين الذين أشار إليهما العكبري⁽⁶⁾. يقول الزركشي⁽⁷⁾: "والتقدير: أقسم بالليل وقت غشيانه، وهذا واضح".

¹ شرح الرضي على الكافية: 191/2-192، وانظر: مغني اللبيب: 100/1.

² مغني اللبيب: 100/1.

³ إعراب القرآن، للنحاس: 265/4.

⁴ البرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي،: 191/4-193.

⁵ روح المعاني: 46/27.

⁶ التبيان في إعراب القرآن: 1186/2.

⁷ البرهان في علوم القرآن: 191/4-193.

ولم يرتضِ أبو حيان هذا التقدير، وأثار إشكالات حول تقدير العامل في (إذا) الواقعة بعد القسم، حيث يقول⁽¹⁾: "والذي نقوله: إن المعضل هو تقدير العامل في (إذا) بعد القسم، كقوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾⁽²⁾، ﴿والليل إذا أدبر﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿والصبح إذا أسفر﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿والقمر إذا تلاها﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿والليل إذا يغشى﴾⁽⁶⁾، وما أشبهها، فـ (إذا) ظرف مستقبل، لا جائز أن يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف؛ لأنه فعل إنشائي، فهو في الحال ينافي أن يعمل في المستقبل ضرورة أن زمان المعمول زمان العامل، ولا جائز أن يعمل فيه نفس المقسم به؛ لأنه ليس من قبيل ما يعمل لا سيما إن كان جُرماً، ولا جائز أن يقدر المحذوف قبل الظرف؛ فيكون قد عمل فيه، ويكون ذلك العامل في موضع الحال، وتقديره: والنجم كائناً إذا هوى، والليل كائناً إذا يغشى؛ لأنه يلزم (كائناً) أن يكون منصوباً بعامل، ولا يصح أن يكون معمولاً لشيء مما فرضناه أن يكون عاملاً، وأيضاً فقد يكون المقسم به، وظروف الزمان لا تكون أحوالاً عن الجثث، كما لا تكون أخباراً".

مما سبق يتبين لنا أن ابا حيان يرفض رفضاً قطعياً أن يكون العامل في (إذا) ما قبل (إذا)، كذلك لا يرتضي أن يكون المصدر الذي يحتاج لعامل هو نفسه عاملاً في شيء آخر سواء (إذا) أم غيرها، وهذا يتضح من قوله إنه لا يصح لنا أن نُقدِّر (كائناً) -المصدر الذي يحتاج لعامل- عاملاً للظرف.

ويرى الباحث أن الإمام الزركشي يتعارض في أقواله، فهو كما أشرت سابقاً يرى أن العامل في (إذا) الفجائية فعلٌ محذوفٌ مقدرٌ، تقديره: "أقسم"، ولكنه في الوقت نفسه يرى إنها بدلٌ من "الليل"، حيث يقول⁽⁷⁾: "والتحقيق، وبه يرتفع الإشكال في هذه المسألة، أن يدعى أن (إذا) كما تجردت عن الظرفية، فهي في هذه الآية لمجرد الشريفة لمجرد الوقت من دون تعلق بالشيء تعلق الظرفية الصناعية، وهي مجرورة المحل هنا؛ لكونها بدلاً من الليل، كما جرت بحتى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا﴾، والتقدير: أقسم بالليل وقت غشيانه، وهذا واضح".

¹ البحر المحيط: 480/8.

² النجم: 1/53.

³ المدثر: 33/74، على قراءة من قرأها: "إذا" بدلاً من "إذ"، انظر: الحجة في القراءات السبع، ص: 355.

⁴ المدثر: 34/74.

⁵ الشمس: 2/91.

⁶ الليل: 1/92.

⁷ البرهان في علوم القرآن: 193/4.

وقد اعترض بعض النحاة على ذلك، وقد نقل الألويسي تلك الاعتراضات مفنداً إياها، ومجيباً عنها، حيث يقول (1): "فإن قيل إن العامل فيه ما تعلق به الواو فقلت: كيف يعمل فعل الحال في المستقبل؟! هذا لأن معناه أقسم الآن لا أقسم بعد هذا...، وقال عبد القاهر (2): إخبار الله تعالى بالمتوقع يُقام مقام الإخبار بالواقع؛ إذ لا خلاف فيه فيجري المستقبل مجرى المحقق الماضي".

ب. يرى العكبري أن العامل في "إذا" إما أن يكون فعل القسم المحذوف، وإما أن يكون نفس النجم، وقد فصل ذلك بقوله (3): "إذا ظرف لما يستقبل من الزمن والعامل في هذا الظرف فعل القسم المحذوف، أي أقسم بالنجم وقت هويته، وقيل النجم نزول القرآن؛ فيكون العامل في الظرف نفس النجم، وجواب القسم "ما ضل".

ج. يرى ابن الحاجب أن العامل مصدر مقدر، تقديره حصول الليل إذا يغشى، أو والليل حاصلًا وقت غشيانه. (4)

وقد اعترض الرضي على ابن الحاجب، وبين أن العامل في (إذا) مصدر مضاف مقدر تقديره: وعظمة الليل، وعظمة النهار؛ وقد استدل على ذلك بأن الله - تبارك وتعالى - لا يقسم بشيء إلا لحاله العظيمة. (5)

يقول الرضي (6): "وليس ببعيد أن يقال هو ظرف لما دل عليه القسم من معنى العظمة، والجلال؛ لأنه لا يقسم بشيء إلا لحاله العظيمة، فتعلقه بالمصدر المقدر على ما ذكرنا من جواز عمله مقدرًا عند قوة الدلالة عليه، وخاصة في الظرف، فإنه يكتفي برائحة الفعل وتوهمه. فالتقدير: وعظمته إذا اتسق، فهو كقولك: عجباً من زيد إذا ركب، أي: من عظمته، والظرف هاهنا لا يصلح أن يكون معمولاً لإنشاء التعجب، كما لم يصلح هناك لكونه معمولاً لإنشاء العظمة؛ إذ لا يُتعجب إلا من عظيم، كما لا يُقسم إلا بعظيم في معنى من المعاني".

¹ روح المعاني: 45/27.

² هو الإمام المشهور أبو بكر، أخذ النحو عن ابن أخت الفارسي، ولم يأخذ عن غيره، لأنه لم يخرج عن بلده، وهو من كبار أئمة العربية والبيان، ومن كتبه: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، والعوامل المائة في التصريف، وغيرها، ت 471 هـ . (بغية الوعاة: 106/2).

³ التبيين في إعراب القرآن: 1186/2

⁴ شرح الرضي على الكافية: 191/2-192.

⁵ السابق: 192/2.

⁶ السابق: 192/2.

ويقول الرضي⁽¹⁾: "قال المصنف (يقصد ابن الحاجب) ناصبه حال من الليل، أي: والليل حاصلًا وقت غشيانه؛ ولي فيه نظر؛ إذ لا شيء هنا يُقدَّر عاملاً في "حاصلًا" إلا معنى القسم، فهو حال من مفعول "أقسم" فيكون الإقسام في حال حصول الليل، كما أن المرور في قولك: مررت بزبدٍ صارخاً: في حال صراخه، وحصول الليل في وقت غشيانه؛ لأن وقت غشيانه ظرف له، كما أن الخروج في قولك: خرجت وقت دخولك: في وقت دخول المخاطب؛ فيكون الإقسام حال غشيان الليل، وهذا فاسد كم مرّ".

د. ذهب ابن هشام إلى أن العامل في (إذا) الأولى الفعل المضارع يغشى، و العامل في (إذا) الثانية الفعل الماضي تجلى.⁽²⁾

2. وقيل: (إذا) بدل من المقسم به مخرج عن الظرفية، أي: وقت غشيان الليل.⁽³⁾

وقد اعترض الرضي على ذلك، وعزى هذا الاعتراض لسببين:

الأول: أن إخراج "إذا" عن الظرفية قليل.

الثاني: أن المعنى: بحق الليل مغشياً، لا بحق وقت غشيان الليل.⁽⁴⁾

3. ومن النحاة من يرى أن "إذا" حالاً من النجم.

يقول الألويسي⁽⁵⁾: "وقيل: إنه متعلق بعامل هو حال من النجم، وأورد عليه بأن الزمان لا يكون حالاً ولا خبراً عن جثة، وأن "إذا" للمستقبل فكيف يكون حالاً إلا أن تكون حالاً مقدرة أو تجرد "إذا" لمطلق الوقت كما يقال بصحبة الحالية إذا أفادت معنى معتداً به؟، فمجيء الزمان خبراً أو حالاً عن جثة ليس ممنوعاً على الإطلاق كما ذكره النحاة، أو النجم؛ لتغيره طلوعاً وغروباً أشبه الحدث، والإنصاف أن جعله حالاً كتعلقه بمصدر محذوف ليس بالوجه، وإنما الوجه علي ما قيل تعلقه بأقسم منسلخاً عن معنى الاستقبال".

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الألويسي يرى أن العامل في "إذا" هو فعل القسم المحذوف.

ويرى الباحث أن أفضل هذه التقديرات هو ما ذهب إليه الرضي من أن العامل في (إذا) مصدر مضاف مقدر تقديره: وعظمة الليل، وعظمة النهار، هذا مع أن ما قدره كل من النحاس، والزرركشي، والألويسي من أن يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف يصلح لذلك، والذي جعلني أميل إلى رأي الرضي أن هذا التقدير أسهل التقديرات على الإطلاق، وأن ربنا - تبارك وتعالى - لا يقسم إلا بعظيم، فيكون التقدير: وعظمة النجم إذا هوى، وعظمة الليل إذا يغشى، وقس على ذلك.

¹ السابق: 192/2.

² مغني اللبيب: 100/1.

³ شرح الرضي على الكافية: 192/2.

⁴ شرح الرضي على الكافية: 192/2.

⁵ روح المعاني: 46/27.

2. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (1).

أ. يرى كل من البيضاوي (2)، والسمين الحلبي (3) أن العامل في إذا (يسمع) أو (الدعاء)، وقد علل السمين أعمال المصدر المعرف بـ أل (الدعاء) في الظرف (إذا)؛ بأن إعماله في الظرف أولى من إعماله في المصدر الصريح، حيث يقول (4): "وقوله: (إذا) في ناصبه وجهان، أحدهما: أنه (يسمع)، والثاني: أنه (الدعاء)، فأعمل المصدر المُعرَّف بـ أل، وإذا أعملوه في المفعول الصريح، ففي الظرف أحرى".

ويبدو لي أن (إذا) وردت في القرآن الكريم محتملة للشرطية الظرفية وللظرفية فقط في ثلاثة مواضع، هي:

1. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ

إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (5)

2. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي

أَزْوَاجٍ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ (6)

3. قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ (7)

يقول السمين (8): "وقوله: 'إذا آتيتموهن' يجوز أن يكون ظرفاً محضاً، وأن يكون شرطاً، جوابه مُقَدَّرٌ، أي: فلا جناح عليكم".

¹ الأنبياء: 45/21.

² تفسير البيضاوي: 71/2.

³ الدر المصون: 163/8.

⁴ السابق: 163/8.

⁵ التوبة: 91/9.

⁶ الأحزاب: 37/33.

⁷ الممتحنة: 10/61.

⁸ الدر المصون: 307/10.

ثالثاً: (إذا) الفجائية

لقد وردت (إذا) الفجائية في القرآن الكريم في ستة وأربعين موضعاً من كتاب الله - تعالى -، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي وردت فيها إذا الظرفية مضافةً إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً و معنىً، وعدد مرات ورودها في الآية الواحدة إن وردت أكثر من مرة.

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآيات	المجموع
4	النساء	.77	1
6	الأنعام	.44	1
7	الأعراف	107 ، 108 ، 117 ، 135 ، .201	5
9	التوبة	.81 ، 58	2
10	يونس	.23 ، 21	2
16	النحل	.54 ، 4	2
20	طه	.66 ، 20	2
21	الأنبياء	.97 ، 18 ، 12	3
23	المؤمنون	.77 ، 64	2
24	النور	.48	1
26	الشعراء	.45 ، 33 ، 32	3
27	النمل	.45	1
28	القصص	.18	1
29	العنكبوت	.65	1
30	الروم	.36 ، 33 ، 25 ، 20	4
36	يس	.77 ، 53 ، 51 ، 37 ، 29 .80	6
37	الصفافات	.34	1
39	الزمر	.68 ، 45	2
41	فصلت	.34	1
43	الزخرف	.57 ، 50 ، 47	3
67	الملك	.16	1
79	النازعات	.14	1

هناك خلافٌ كبير بين النحاة في طبيعة (إذا) الفجائية، حيث ذهب جمهور النحويين إلى أنها ظرف مكان، وذهب آخرون إلى أنها ظرف زمان، فيما ذهب بعضهم إلى أنها حرف، ووضحت ذلك بالتفصيل في الفصل الأول من هذه الدراسة⁽¹⁾.

1. قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾⁽²⁾:

لقد اختلف المفسرون في (إذا) هذه، فهي زمانية أم مكانية، فذهب الزمخشري إلى أنها ظرف زمان، حيث يقول⁽³⁾: "ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم، وهذا تمثيل، والمعنى: على مفاجأته حبالهم مخيلةً إليه السعي".

ويبدو أن هذا القول لم يقل به أحدٌ من النحاة.

قال أبو حيان⁽⁴⁾: "ولا نعلم نحوياً ذهب إلى ما ذهب إليه هذا الرجل من أن (إذا) الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره: فاجأ، بل هي منصوبة بالخبر على ما تقدم تقديره، وليست مضافة إلى الجملة كما سبق، ثم عن المفاجأة التي ادّعاها لا يدل المعنى على أنها لا تكون من الكلام الذي فيه (إذا)". تقول: خرجت فإذا الأسد، فالمعنى: ففاجأني الأسد، وليس المعنى: ففاجأت الأسد.

كذلك اختلفوا في تقدير عامل (إذا) الفجائية في هذه الآية:

أ. أن العامل فيه فعل محذوف تقديره: ألقوا، وهذا ما ذهب إليه العكبري⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾، والألويسي⁽⁷⁾.

يقول القرطبي⁽⁸⁾: "في الكلام حذف، أي: فألقوا، دلّ عليه المعنى".

لقد نقل أبو حيان عن أبي البقاء العكبري قوله قدر العامل في "إذا" الفجائية فعلاً محذوفاً، وجعل الآية على معنى: بل ألقوا، فألقوا فإذا، حيث قال⁽⁹⁾: "والتقدير: فألقوا فإذا، و(إذا) في هذا ظرف مكان، والعامل فيه ألقوا".

وقد رد أبو حيان هذا التوجيه معللاً ذلك بأن الفاء تمنع من عمل ما قبلها فيما بعدها⁽¹⁰⁾.

¹ راجع الفصل الأول من هذه الدراسة: ص: 38-40.

² طه: 20/66.

³ الكشاف: 4/93.

⁴ البحر المحيط: 8/20.

⁵ البحر المحيط: 6/240.

⁶ الجامع لأحكام القرآن: 6/113.

⁷ روح المعاني: 16/226.

⁸ الجامع لأحكام القرآن: 6/113.

⁹ البحر المحيط: 6/240.

¹⁰ البحر المحيط: 6/240.

وأجاز الرضي أن تكون (إذا) الفجائية ظرف زمان بدلاً من (لما) وعاملها الجملة بعدها وهي ليست مضافة إليها.⁽¹⁾

ب. يرى كل من ابن جنبي، والمبرد أن العامل هو الفعل.

نقل ابن هشام عن ابن جنبي قوله⁽²⁾: "وعاملها -يقصد إذا الفجائية- الفعل الذي بعدها؛ لأنها غير مضافة إليه".

ج. يرى أبو حيان أننا إذا جعلنا جملة (يخيل) خبرها على سبيل أنها مبتدأ؛ فيكون العامل فيها خبر المبتدأ "حبالهم وعصيهم"، أما إذا جعلناها خبراً لمبتدأ محذوف؛ فيكون العامل فيها جملة (تسعى). يقول أبو حيان⁽³⁾: "إنما هي - يقصد إذا الفجائية- معمولة لخبر المبتدأ الذي هو (حبالهم وعصيهم) إن لم نجعلها هي في موضع الخبر، بل جعلنا الخبر جملة (يخيل)، وإذا جعلناها في موضع الخبر، وجعلنا الجملة بعدها في موضع الحال، فالأمر واضح، وهذا نظير قولك: خرجت فإذا الأسد رابضاً ورابضاً".

وقد ضرب الطبرسي في المجمع مثلاً، وضَّح من خلاله كلام أبي حيان السابق، فقال إن جمهور المفسرين يرى أن العامل في إذا الفجائية خبر المبتدأ بعدها، وذلك أن الغالب فيما يليها أن يكون جملة اسمية، وقد ذكر أن (إذا) في قولهم: خرجت فإذا الناس وقوف، في موضع نصب بوقوف، والتقدير: فبالحضره الناس وقوف، ويجوز أن ينتصب الخبر على الحال، فيقال: فإذا الناس وقوفاً، فتكون (إذا) في موضع رفع خبر للمبتدأ، وذلك على جواز وقوع الظرف خبراً عن الجثة⁽⁴⁾.

وقد منع القرطبي الإخبار عن الجثة بالظرف، وقدّر للمبتدأ في نحو (الناس) مضافاً محذوفاً⁽⁵⁾. وقد اختلف في الفاء الداخلة على (إذا) الفجائية، والذي يظهر من كلام المبرد أنها عاطفة، حيث يقول⁽⁶⁾: "ذلك قولك: جئتك فإذا زيد، وكلمتك فإذا أخوك، وتأويل هذا: جئت ففاجأني زيد، وكلمتك ففاجأني أخوك".

وبعض النحاة جعلها جواب شرط مقدر⁽⁷⁾، وقد قال الرضي إن من قال ذلك لعله يريد فاء السببية التي يتوقف ما بعدها على ما قبلها.⁽⁸⁾

¹ شرح الرضي: 107/2.

² مغني اللبيب: 88.

³ البحر المحيط: 240/6.

⁴ انظر: المجمع: 135/8.

⁵ انظر: الجامع لأحكام القرآن: 201/1.

⁶ المقتضب: 178/3.

⁷ انظر: شرح المفصل: 2/9، وشرح الكافية: 93/1.

⁸ انظر: شرح الرضي: 93/1.

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية لـ (حيث) في القرآن الكريم

وردت (حيث) في واحد وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم، منها مرتان بصورة (حيثما) التي هي اسم شرط مبني على الضم في محل نصب يجزم فعلين. وقد وردت حيث دالة على المكان في عشرين موضعاً من هذه المواضع. وإليك آيات القرآن التي ذكرت فيها حيث:

1. قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾⁽¹⁾
2. قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَعَدًا﴾⁽²⁾
3. قوله تعالى: ﴿...فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁽³⁾
4. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁽⁴⁾
5. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁽⁵⁾
6. قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾⁽⁶⁾
7. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾⁽⁷⁾
8. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾⁽⁸⁾
9. قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾⁽⁹⁾
10. قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾⁽¹⁰⁾
11. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁽¹¹⁾

¹ البقرة: 35/2.

² البقرة: 58/2.

³ البقرة: 144/2.

⁴ البقرة: 149/2.

⁵ البقرة: 150/2.

⁶ البقرة: 191/2.

⁷ البقرة: 199/2.

⁸ البقرة: 222/2.

⁹ النساء: 89/4.

¹⁰ النساء: 91/4.

¹¹ الأنعام: 124/6.

12. قوله تعالى: ﴿فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (1)
13. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (2)
14. قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ (3)
15. قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (4)
16. قوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (5)
17. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ (6)
18. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ (7)
19. قوله تعالى: ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (8)
20. قوله تعالى: ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (9)
21. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (10)
22. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُلْقِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (11)
23. قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (12)
24. قوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (13)

¹ الأعراف: 19/7.

² الأعراف: 27/7.

³ الأعراف: 161/7.

⁴ الأعراف: 182/7.

⁵ التوبة: 5/9.

⁶ يوسف: 56/12.

⁷ يوسف: 68/12.

⁸ الحجر: 65/15.

⁹ النحل: 26/16.

¹⁰ النحل: 45/16.

¹¹ طه: 69/20.

¹² ص: 36/38.

¹³ الزمر: 25/39.

25. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ

فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (1)

26. قوله تعالى: ﴿فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ (2)

27. قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (3)

28. قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجُوهِكُمْ﴾ (4)

29. قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (5)

أما الموضوعان اللذان وردت فيهما (حيثما) فهما قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

شَطْرَهُ﴾ (6)

من خلال استعراض الآيات السابقة يتبين لنا أن (حيث) لم ترد في القرآن الكريم مضافة إلى جملة اسمية، إنما جاءت مضافة إلى جملة فعلية في جميع مواضعها، حيث وردت مضافة إلى جملة فعلية فعلها مضارع أحياناً، كما وردت مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ، وقد جاءت الأفعال الماضية بعدها ماضية لفظاً ومعنى إلا في موضع واحد جاء فيه الفعل ماضياً لفظاً ومعنى، كذلك الأفعال المضارعة، جاءت في جميع مواضعها مضارعة لفظاً ومعنى، وسأقوم بعرض ذلك في هذا الفصل - إن شاء الله-.

أولاً: (حيث) مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنى

لقد وردت (حيث) في القرآن الكريم مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى في ثمانية عشر موضعاً في كتاب الله - تعالى -.

1. قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (7)

¹ الزمر: 74/39.

² الحشر: 2/59.

³ الطلاق: 3/65.

⁴ الطلاق: 6/65.

⁵ القلم: 44/68.

⁶ البقرة: 144/2, 150/2.

⁷ البقرة: 35/2.

أ. جاء في تفسير العكبري⁽¹⁾ وتفسير الألوسي⁽²⁾، وتفسير السمين الحلبي⁽³⁾: " (حيث) ظرف مكان، والعامل فيه كُلاً".

وقد أجاز العكبري أن يكون بدلاً من الجنة⁽⁴⁾؛ فيكون حيثُ مفعولاً به؛ لأن الجنة مفعول، وليس بظرف؛ لأنك تقول: سكنت البصرة، وسكنت الدار، بمعنى نزلت؛ فهو كقولك: انزل من الدار حيث شئت.⁽⁵⁾

ويقصد العكبري بأن حيث مفعول به؛ لان الجنة مفعول به منصوب على نزع الخافض، ويكون تقدير الآية: اسكن أنت وزوجك حيث شئتما.

وقد اعترض عليه الألوسي، وعلل ذلك بأن (حيث) لا تتصرف إلا بالجر بـ "من".⁽⁶⁾

ويرى الباحث أن حيث ظرفية، وليست متصرفة.

ب. وجاء في تفسير الطبري⁽⁷⁾، والكشاف⁽⁸⁾، وتفسير النسفي⁽⁹⁾: " (حيث) للمكان المبهم، أي: أي مكان شئتما".

ج. وجاء في تفسير أبي حيان⁽¹⁰⁾، وتفسير الألوسي⁽¹¹⁾: " (حيث) ظرف مكان ملازم للظرفية، وجاء جره بمن كثيراً وبفي، وإضافة لى إليه قليلاً.....".

يقول أبو حيان⁽¹²⁾: " (حيث) ظرف مكان مبهم لازم للظرفية، وجاء جره بمن كثيراً وبفي، وإضافة لى إليه قليلاً، وإضافتها لا ينعقد منها مع ما بعدها كلام، ولا يكون ظرف زمان خلافاً للأخفش، ولا ترفع اسمين نائبة عن ظرفين، نحو: "زيدٌ حيث عمرو" خلافاً للكوفيين، ولا يُجزم بها دون (ما) خلافاً للفراء، ولا تُضاف إلى المفرد خلافاً للكسائي، وما جاء من ذلك حكماً بشذوذه،

¹ التبيان: 52/1.

² روح المعاني: 234/1.

³ الدر المصون: 283-282/1.

⁴ قوله تعالى: "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة" (البقرة: 35/2).

⁵ التبيان: 52/1.

⁶ انظر: الدر المصون: 283/1.

⁷ جامع البيان: 41/1.

⁸ الكشاف: 254/1.

⁹ تفسير النسفي: 38/1.

¹⁰ البحر المحيط: 305/1.

¹¹ روح المعاني: 234/1.

¹² البحر المحيط: 305/1.

وهي مبنية، وتعتقب على آخرها الحركات الثلاث.....، وحكى الكسائي أن إعرابها لغة بني فقعس".

من الواضح لدينا أن أبا حيان في تفسير لهذه الآية، وهي أول آية كريمة تُذكر فيها (حيث) أنه قد تناول استعمالاتها، ولكنه لم يمثل لهذه الاستعمالات.

وقال في موضع آخر⁽¹⁾: "أباح لهما الأكل والشراب حيث شاء، أفلم يحظر عليهما مكاناً من أماكن الجنة كما لم يحظر عليهما مأكولاً إلا ما وقع النهي عنه".

د. ويرى الأخفش أن حيث ظرف زمان⁽²⁾

وقد خالفه في ذلك أبو حيان، والألوسي⁽³⁾.

يقول الألوسي⁽⁴⁾: "(حيث) ظرف مكان مبهم لازم الظرفية، وإعرابها لغة بني فقعس، ولا تكون ظرف زمان خلافاً للأخفش".

ويرى الباحث أن (حيث) هنا قد تحتل الزمان كما تحتل المكان؛ فيصبح التقدير: "وكلا منها رغداً حينما تشاءان"، فإله تبارك وتعالى لم يلزم أبانا آدم وأمنا حواء الأكل من مكان محدد، كما أنه لم يلزمهما بزمن محدد، بل جعلهم في الجنة يأكلون في الوقت الذي يريدانه، والمكان الذي يختارانه فتبين لنا أن التخيير هنا قد يحتل الوقت مثلما يحتل المكان، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾⁽⁵⁾، وقوله أيضاً: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾⁽⁶⁾، وقوله: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾⁽⁷⁾

من خلال الآيات السابقة يتضح لنا أن (حيث) قد تدل على الزمان.

يقول الدكتور: عودة خليل أبو عودة⁽⁸⁾: "فهل (حيث) هنا دالة على المكان أم على الزمان؟ أم دالة على كليهما معاً؟ أرى أنها تدل على تنوع المكان، وتعدد الزمان، لأن التخيير في أكل ما يشاؤون لا يلزمهم بوقت محدد، بل إن التخيير في أكل ما يريدونه يدل بالضرورة على تعدد

¹ السابق: 309/1.

² انظر: البحر المحيط: 305/1، روح المعاني: 234/1.

³ انظر: البحر المحيط: 305/1، روح المعاني: 234/1.

⁴ روح المعاني: 234/1.

⁵ البقرة: 58/2.

⁶ الأعراف: 161/7.

⁷ الأعراف: 19/7.

⁸ حيث بين ثبات قواعد اللغة العربية، وتطور صور الاستعمال، (بحث محكم)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد الأول + العدد الثاني، ص: 56.

الأوقات التي يختارون منها واستمرارها، ويدل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وسنزيد المحسنين﴾، فهذه فرصة متاحة للمرء أن يختار ما يشاء وقت ما يشاء، ولاسيما أن دلالة (رغدا) تؤكد ذلك". ثم يقول⁽¹⁾: "ويلاحظ تأثير كلام النحاة في أن حيث ظرف للمكان في كلام المفسرين يظهر ذلك في قوله (يقصد الألووسي) وفي الكلام إشارة إلى حلّ جميع مواضعها لهم (ولكنه عبر عن إحساسه بمعنى الزمان فيها عندما قال ويحتمل أن يكون وعدًا لهم بكثرة المحصولان). (ولا أرى داعيًا لحصرها في هذه الآية بدلالة المكان".

لقد طرح الدكتور/ عودة خليل أبو عودة بحثاً محكماً بعنوان (حيث بين ثبات قواعد اللغة العربية وتطور صور الاستعمال)، وكانت البحث عبارة عن دراسة لغوية لـ (حيث)، حيث وضح فيه تطور الاستعمال الدلالي لـ (حيث)، وأنها تدل على السبب، وعلى الزمان، واستشهد بالقرآن والحديث والشعر مع أن كتب النحو والتفسير والشعر والنثر تكاد تجمع - على حد قوله - على أن حيث ظرف مكان إلا ما رآه عند الأخفش الذي صرح أنها ظرف زمان، حيث يقول⁽²⁾: "أما في مجال دلالة السياق فقد حرصت على إثبات نصوص وأقوال وردت فيها (حيث) قديماً وحديثاً لمحاولة فهم معناها ودلالاتها. وقد رأيت أن يكون تسلسل ذلك بدءاً من القرآن الكريم وبعض الأحاديث الشريفة، ثم ما ورد من أمثلة وشواهد على الكلمة في الأدب العربي ولا سيما في الشعر، قديماً وحديثاً. حتى إذا كان العصر الحديث رأيت الكلمة تتشكل في صيغ جديدة، ودلالات متطورة، لم تكن معروفة من قبل. وجدت (حيث) تفيد السببية والتعليل مثلما تفيد الباء (أو) من (أو) عن في حروف الجر، ووجدت (حيث) تتخذ شكلاً جديداً في التركيب هو (حيثيات)، وقد جاءت هذه الكلمة جمعاً لكلمة (حيث) ... إن هذه الصور الجديدة تجعل من المفيد عرض جوانب هذا التطور الدلالي في الاستعمال، وهذا قد يجعل منها صفحة دالة من صفحات المعجم التاريخي للغة، وقد وجدت أن مصادر النحو الكبرى، وكتب اللغة، والحروف، والأدوات، ومعاجم اللغة المتوالية، تجمع -تقريباً- على أن حيث ظرف للمكان ليس غير، وفي مرات قليلة لا تكاد تظهر وجدت أحد النحاة، كالأخفش (يقول بصوت ضعيف خافت) وقد ترد للزمان (مع أن دراسة دلالة الكلمة في آيات القرآن الكريم، والحديث الشريف، ونصوص الشعر والنثر، واستخدامها المعاصر يدل على أن استخدامها للدلالة على الزمن يكاد يماثل استعمالها في الدلالة على المكان، إن هذا البحث سوف يتتبع هذه المراحل كلها ليقدّم صورة واضحة عن استعمال حيث في حياة الناس عبر العصور".

¹ حيث بين ثبات قواعد اللغة العربية، وتطور صور الاستعمال: ص:56.

² السابق: ص:42.

وممن صرح بأنها ظرف زمان أيضاً ابن هشام، حيث يقول⁽¹⁾: "هي للمكان اتفاقاً، قال الأخفش: وقد ترد للزمان ... وإذا اتصلت بها ما الكافة ضُمَّت معنى الشرط وجزمتِ الفعلين كقوله:

حيثما تستقم يُقدِّر لك الله نجاحاً في غابر الأزمان⁽²⁾

وهذا البيت دليل عندي على مجيئها للزمان".

إن المنتبغ لأقوال المفسرين يجد أن المفهوم من كلامهم في العديد من الآيات أن حيث تدل على الزمان، وإن لم ينطقوا بهذه الكلمة نطقاً لفظياً، وإنما كانت تسفاد من خلال كلامهم، وسيتم توضيح ذلك من خلال مناقشتي لبعض أقوالهم.

2. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾⁽³⁾

أ. جاء في تفسير الزمخشري أن المراد: من أي مكان خرجت.⁽⁴⁾

ب. يقول العكبري⁽⁵⁾: "(حيث) هنا لا تكون شرطاً؛ لأنه ليس معها ما؛ وإنما يُشترط بها مع ما؛ فعلى هذا يتعلق (من) بقوله: (فَوَلِّ)".

لقد بين العكبري أن حيث حينما تتصل بـ (ما) تكون شرطية، وهذا ما سنتحدث عنه في الموضوع القادم - إن شاء الله تعالى -.

يقول أبو حيان⁽⁶⁾: "لما ذكر الله -تعالى- أن لكلٍ وجهةٍ يتولاهَا أمر نبيه أن يُولِّي وجهه شطر المسجد الحرام، وأي مكان خرج".

ويقول ابن عطية⁽⁷⁾: "(ومن حيث خرجت) معناه: حيث كنت وأنى توجهت من مشارق الأرض ومغاربها، ثم تكررت هذه الآية تأكيداً من الله تعالى؛ لأن موقع التحويل كان صعباً في نفوسهم جداً فأكد الأمر؛ ليرى الناس التَّهَمُّمُ به؛ فيخف عليهم، وتسكن نفوسهم إليه".

من خلال ما سبق يتبين لنا أن (حيث) في هذا الموضع ظرف مكان، وهي باقية على أصلها.

3. قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾⁽⁸⁾

¹ مغني اللبيب: 177-178.

² سبق تخريجه: ص 53.

³ البقرة: 149/2، 150.

⁴ الكشاف: 1/346.

⁵ التبيان: 1/127.

⁶ البحر المحيط: 1/613.

⁷ المحرر الوجيز: 1/381.

⁸ البقرة: 144/2، 150.

أ. يرى أبو السعود⁽¹⁾، والطبرسي⁽²⁾، وأبو حيان⁽³⁾، والسمين الحلبي⁽⁴⁾ أن (حيثما) شرطية. يقول أبو السعود⁽⁵⁾: "(حيثما) شرطية، و(كنتم) في محل جزم بها، وقوله تعالى: (فولوا) جوابها، وتكون هي منصوبة على الظرفية بـ (كنتم)".

يقول الطبرسي⁽⁶⁾: "(حيث ما كنتم) أي: أينما كنتم من الأرض في بر أو بحر أو سهل أو جبل فولوا وجوهكم ... و(حيث ما كنتم) موضع (كنتم) جُزم بالشرط، وتقديره: حيثما تكونوا، والفاء وما بعدها في موضع الجزاء".

وقد أورد كلاماً جميلاً بين فيه أن (حيثما) شرطية، ووضح السبب الذي جعلها شرطية، ولم يجعل حيث شرطية.

يقول أبو حيان⁽⁷⁾: "(وحيثما كنتم) هذا عموم في الأماكن التي يحلها الإنسان، أي: في أي موضع كنتم، وهو شرط وجزاء، والفاء جواب شرط، و(كنتم) في موضع جزم، و(حيث) هي ظرف مكان مضافةً إلى الجملة، فهي مقتضية الخفض بعدها، وما اقتضى الخفض لا يقتضي الجزم؛ لأن عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال، والإضافة موضحة لما أُضيف كما أن الصلة موضحة كما أن الصلة موضحة فينافي اسم الشرط؛ لأن الشرط مبهم فإذا وصلت بما زال منها معنى الإضافة، وضمّنت معنى الشرط وجوزي بها".

من خلال كلام أبي حيان السابق يتبين لنا أن السبب الذي جعلنا نحكم أن (حيثما) شرطية هو إضافة (ما) الموصولة إليها، وأن الصلة توضح ما لا توضحه الجملة المضافة إلى (حيث)، وأن (حيث) ظرف مكان مضاف إلى الجملة وجوباً، والجملة بعده مجرورة بإضافة حيث إليها، فلو حذفنا (ما) من حيث لأصبحت ولوا وجوهكم حيث خرجتم، ولأصبحت (حيث) ظرفية غير شرطية والعامل فيها جوابها (خرجتم)، أما حينما أضفنا (ما) إليها أصبحت شرطية عاملها (لوا).
ب. يرى العكبري أن (حيث ما) قد تكون شرطية، وقد تكون غير شرطية، وهذا على التساوي عنده.

¹ تفسير أبي السعود: 175/1.

² مجمع البيان: 329-330/1.

³ البحر المحيط: 613/1.

⁴ الدر المصون: 162/2.

⁵ تفسير أبي السعود: 104/1.

⁶ مجمع البيان: 329-330/1.

⁷ البحر المحيط: 613/1.

يقول العكبري⁽¹⁾: " (وحيث) ظرف لؤلؤا, وإن جعلتها شرطاً انتصب بـ (كنتم)؛ لأنه مجزوم بها, وهي منصوبة ", ويقول أيضاً⁽²⁾: " (وحيثما كنتم) يجوز أن يكون شرط وغير شرط". وقد اعترض عليه السمين الحلبي بقوله⁽³⁾: " وليس بشئ؛ لأنه متى زيدت عليها (ما) وجب تضمنها معنى الشرط".

ويرى الباحث أن ما قدمه العكبري لا يصح, وأن ما قدمه أبو حيان, والألوسي ترتاح إليه النفوس, وتقر له العيون.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن (حيث) في هذا الموضع ظرف مكان, وهي باقية على أصلها.

4. قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾⁽⁴⁾

قال الطبرسي⁽⁵⁾: " (وأقتلوهم حيث تقفتموهم) أي: وجدتموهم, والوجود يقتضي المكانية". وقال السمين الحلبي⁽⁶⁾: " (حيث تقفتموهم), حيث منصوب بقوله: "أقتلوهم", وتقفتموهم في محل خفض بالظرف"

وقال أبو حيان: " (وحيث تقفتموهم) عام في كل مكان حلّ أو حرّم, ويلزم منه عموم الأزمان في الشهر الحرام وفي غيره".

إن أبا حيان حينما تحدث عن (حيث) وشرح استعمالاتها كما أشرت في الموضع الأول في القرآن الذي استخدم فيه (حيث)⁽⁷⁾ أكد أنه ظرف مكان مبهم لازم الظرفية⁽⁸⁾.

يتضح لدينا أن أبا حيان يشير إلى أنها هنا قد تستعمل للزمان, وذلك من خلال قوله: " ويلزم منه عموم الأزمان... ", فلو كانت (حيث) في هذا الموضع لا تحتل الظرفية الزمانية لما قال هذه الجملة, فدلّ ذلك أن حيث هنا قد تحتل الظرفية الزمانية, هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى, فما المانع أن يكون تأويل هذه الآية: (وأقتلوهم حين تقفتموهم), ثم إنه ليس شرطاً أن يقتضي الوجود المكانية فحسب كما قال الطبرسي, بل الوجود يقتضي المكانية والزمانية, فكل مخلوق موجود في زمان ومكان, الله تعالى موجودٌ في كل زمان وكل مكان.

¹ التبيان: 125/1, 127.

² السابق: 127/1.

³ الدر المصون: 163/2.

⁴ البقرة: 191/2, والنساء: 91.

⁵ مجمع البيان: 22/2.

⁶ الدر المصون: 306/2.

⁷ أقصد قوله تعالى: "وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا". (البقرة: 35/2).

⁸ البحر المحيط: 305/1, وانظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة: ص5.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن حيث في هذه الآية تحتمل الزمانية.
ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (1)

5. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (2)

قال ابن عطية في تفسيره لهذه الآية (3): "وقالت فرقة: معناه ان الساحر يقتل حيث تُقف ...
وقرأت فرقة: " أين أتى", والمعنى فيهما متقارب".
يقول أبو السعود (4): " لا يُفْلِحُ جنس الساحر حيث أتى وأين توجه".

إن ابن عطية حينما عرض المعنى والقراءة علق بقوله: " والمعنى فيهما متقارب", مع أن
دلالة حيث في التفسير دلالة زمانية, ولو كانت (حيث) في القراءة نفس التفسير؛ لقال والمعنى فيهما
واحد, وليس المعنى متقارباً.

والشيء الذي أريده أن أسأله لماذا لم يقل ابو السعود أين أتى وأين توجه, فالذي أراه أن أبا
السعود يريد القول في تفسير هذه الآية أن الساحر لا يفلح متى أتى (وقت صنعه السحر), ولا يفلح
في المكان الذي يصنع فيه ذلك السحر, فالساحر لا يفلح سحره وقت قيامه بالسحر, وفي المكان
الذي يصنع فيه ذلك السحر.

يقول الدكتور/ عودة أبو عودة (5): "ولعل في هذه الآية دليلاً قاطعاً على أن حيث هنا
للزمان, فليس أمر الساحر, وعمله مرتبطين بمكان محدد؛ ليفلح فيه أو لا يفلح, بل إنه لا يفلح كيده
في أي وقت يمارس فيه سحره وكيده".

ثانياً: (حيث) مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى

وردت حيث في القرآن الكريم مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى في موضع
واحد فقط, وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (6)

وأورد النحاة في حرف الجر (من) قولان, أحدهما: أنه لا ابتداء الغاية, أي: من الجهة التي
تنتهي إلى موضع الحيض, وعليه جمهور النحاة. (7)

1 النساء: 89/4.

2 طه: 69/20.

3 المحرر الوجيز: 111/6.

4 تفسير أبو السعود: 28/6.

5 حيث بين ثبا قواعد اللغة وتطور صور الاستعمال: ص 57.

6 البقرة: 222/2.

7 تفسير النسفي: 107/1, مجمع البيان: 97/2.

قال النسفي⁽¹⁾ وأبو حيان⁽²⁾: "(من حيث أمركم الله), أي: من المأتي الذي أمركم الله به, وحلَّه لكم, وهو القَبْل".

وقال الشوكاني⁽³⁾: "(فأتوهن من حيث أمركم الله), أي: فجامعوهن, وكنى عنه بالإتيان, والمراد أنهم يجامعونهن في المأتي الذي أباحه الله, وهو القبل".

والآخر: أن تكون بمعنى (في), أي: في المكان الذي نُهَيْتُمْ عنه في الحيض, وقد أجاز العكبري كلا القولين.⁽⁴⁾

يقول العكبري⁽⁵⁾: "(من) هنا لابتداء الغاية على أصلها؛ أي: من الناحية التي تنتهي إلى موضع الحيض, ويجوز أن تكون بمعنى في؛ ليكون ملائماً لقوله "في المحيض"؛ وفي الكلام حذف, تقديره: أمركم الله بالإتيان منه".

ويقصد العكبري بقوله: "وفي الكلام حذف" أن المفعول به الثاني (الإتيان) حذف لدلالة الفعل (أتوهن) عليه.

وقد استدل أصحاب القول الثاني بأمرين⁽⁶⁾:

1. حينما نقول أن (من) بمعنى (في) فيكون ملائماً لقوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾⁽⁷⁾.

2. أن (من) جاءت بمعنى (في) في عدة مواضع من كتاب الله - تعالى -, كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾⁽⁸⁾

أي: في يوم الجمعة, وقوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾⁽⁹⁾ أي: في الأرض.

وقيل: إن المعنى من الوجه الذي أذن لكم, أي: في غير صوم, وإحرام, واعتكاف.⁽¹⁰⁾

وقيل: إن المعنى من قبل الطهر.⁽¹¹⁾

ويرى الباحث أن ما ذهب إليه جمهور النحاة واضح, وهو أن حيث هنا على أصلها المكاني.

¹ تفسير النسفي: 1/107.

² البحر المحيط: 2/177.

³ فتح القدير: 1/226.

⁴ التبيان: 1/178, وانظر: الدر المصون: 2/422.

⁵ التبيان: 1/178.

⁶ فتح القدير: 1/226.

⁷ البقرة: 2/222.

⁸ الجمعة: 62/9.

⁹ فاطر: 35/40, الأحقاف: 46/4.

¹⁰ فتح القدير: 1/226.

¹¹ السابق: 1/226.

ثالثاً: (حيث) مضافةً إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً ومعنى

لقد وردت (حيث) في القرآن الكريم مضافةً إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً ومعنى في اثنتي عشرة آية من كتاب الله - عز وجل -، وإليك جدولاً يوضح أرقام الآيات التي وردت فيها (حيث) مضافةً إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً ومعنى، وعدد مرات ورودها في الآية الواحدة إن وردت أكثر من مرة

رقم السورة	اسم السورة	أرقام الآيات	المجموع
6	الأنعام	.124	1
7	الأعراف	.182 , 27	2
12	يوسف	.56	1
15	الحجر	.65	1
16	النحل	.45 , 26	2
39	الزمر	74 , 25	2
59	الحشر	.1	1
65	الطلاق	.3	1
68	القلم	.44	1

1. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (1)

يقول الشوكاني (2): "إن الله - سبحانه وتعالى - أعلم بمن يجعله رسوله رسولاً، ويكون موضعاً لها، وأميناً عليها، وقد اختار أن يجعل الرسالة في محمد، صفيه، وحببيه".
أما الطبري في تفسيرها: "فأنا أعلم بمواضع رسالاتي، ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك عليّ أنتم، لأن تخيير الرسول إلى المرسل دون المرسل إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالةً بموضع رسالاته". (3)
من خلال ما سبق يتضح لنا ان (حيث) هنا مفعولاً به، وليس ظرفاً

¹ الأنعام:6/124.

² فتح القدير:2/159.

³ جامع البيان:12/96

وبقول الطبري أخذ جمهور المفسرين، حيث بين السمين الحلبي في تفسيره أن (حيث) في هذه الآية خرجت عن الظرفية، وصارت مفعولاً به على السعة، وليس العامل (أعلم) هذه؛ لأن (أعلم) على وزن أفعل التفضيل، وبالتالي لا ينصب المفعول به، ويكون العامل فيه فعلاً دل عليه (أعلم)، ولأننا إذا اعتبرنا أن حيث ظرف يصير التقدير: الله أعلم في هذا الموضع، ولا يوصف الله تعالى بالعلم في مواضع وأوقات، لأنَّ علمه لا يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة، وإذا كان كذلك كان العامل في حيث فعلاً يدلُّ عليه أعلم.⁽¹⁾

ويرى الباحث أن (حيث) في هذه الآية مفعولاً به، وليس ظرفاً، وأن أعلم بمعنى يعلم، وليس اسم تفضيل.

2. قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾

قال النحاس⁽³⁾: "قيل: سنستدرجهم من قبورهم إلى النار".

وقال ابن عطية⁽⁴⁾: "سنسوقهم شيئاً بعد شيء، ودرجة بعد درجة بالنعم عليهم، والإمهال حتى يفتروا، ويظنوا أنهم لا يناله عقاب، وقوله: (من حيث لا يعلمون: معناها: من حيث لا يعلمون أنه استدرج لهم، وهذه عقوبة من الله على التكذيب بالآيات".

ونقل أبو حيان قول أبي عبيدة: إن الله سيأخذ الكافرين قليلاً قليلاً، ولا يباغتهم، وذلك بأن يفتح عليهم من النعيم؛ فيغتنبون به، ويركنون إليه، ويأمنون به، ولا يذكرون الموت؛ فيأخذهم على غرتهم أغفل ما كانوا.⁽⁵⁾

ومعنى قول أبي عبيدة أن الله سيأخذ الكافرين حين عفلتهم. وعلى هذا تكون هذه الآية محتملة للزمان.

2. قوله تعالى: ﴿وَوَيَرِّزُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾⁽⁶⁾

لقد أورد الشوكاني عدة تفسيرات لهذه الآية، ومنها:

1. من حيث لا يدري.

2. من وجه لا يخطر بباله، ولا يكون في حسابه.

¹ الدر المصون: 176/2.

² الأعراف: 182/7، القلم: 44/68.

³ إعراب القرآن: 16/5.

⁴ المحرر الوجيز: 99/4.

⁵ البحر المحيط: 5/5.

⁶ الطلاق: 3/65.

3. ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من العقوبة، ويرزقه الثواب الحسن من حيث لا يكون في حسابانه.
4. ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب.⁽¹⁾

إن الواضح لدينا أن (حيث) هنا محتملة للزمان أكثر من المكان؛ لأن الإنسان متى يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وقد بينت ذلك في الفصل الأول من هذه الدراسة، وتفسير هذه الآية يكمن في قول الشاعر:

حيثما تستقم يقدر لك الله
نجاحاً في غابر الأزمان⁽²⁾

ومن الآيات التي تحتمل (حيث) فيها الظرفية الزمانية أكثر من المكانية:

1. قوله تعالى: ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁽³⁾

2. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁽⁴⁾

والتقدير في زمن لا يشعرون به.

¹ فتح القدير: 242/5-243.

² سبق تخريجه في ص: 52 من هذه الدراسة.

³ النحل: 26/16.

⁴ النحل: 45/16.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد...

فهذه خاتمة البحث الذي اشتمل على دراسة للظروف التي تضاف إلى الجملة وجوباً من خلال القرآن الكريم، فقد اشتملت الدراسة على أربعة فصول سبقتها مقدمة، وقد وضحت في المقدمة مكانة اللغة العربية، وأهمية النحو في فهم القرآن الكريم، كما وضحت فيها الفصول التي احتوتها هذه الدراسة، وأهمية البحث، وسبب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة.

ولعل أهم النتائج التي وصلت إليها ما يأتي:

1. إن علة بناء (إذا) هي نفسها علة بناء (إذا)، مُضافاً إليها أن (إذا) أداة شرط متضمنة معنى الجزاء، بخلاف حيث، والتي تراوحت أقوال العرب في علة بنائه؛ لأن حيث ورد للعرب فيه لغات عدة، بخلاف قرينيه اللذين لم يبنيا إلا على السكون، ولم يرد فيهما بناء على ضم ولا فتح؛ ولم يرد للعرب فيهما لغات.
2. إن (إذ) لفظ مشترك بين الاسم والحرف، وأنها تتصرف، فقد ترد مبتدأً، وخبراً، ومفعولاً به ... وهذا خلافاً لمن أزمها الظرفية، بخلاف (إذا)، و(حيث) فهذان الطرفان اسمان، ولم يتصرفا البتة إلا (حيث) ورد مفعولاً به في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁽¹⁾.
3. لقد وردت (إذ) في إضافة (إذ) في القرآن الكريم إلى الجملة الفعلية أكثر من إضافتها إلى الجملة الاسمية، فقد أضيفت إلى الجملة الفعلية في (232) موضعاً، بينما لم ترد مضافةً إلى الجملة الاسمية إلا في (13) موضعاً، وقد وردت (إذ) مضافاً إلى ظرف الزمان يوم، وبعد، وحين، حيث ورد مضافاً إلى يوم ثمانية وستين مرة، ومضافاً إلى بعد تسع مرات، ومضافاً إلى حين مرة واحدة.
4. إن إضافة (إذ) إلى الجملة الفعلية المصدرية بالفعل الماضي أكثر من إضافتها إلى الجملة الفعلية المصدرية بالفعل المضارع، حيث وردت مضافةً إلى الجملة الفعلية المصدرية بالفعل الماضي في (185) موضعاً، في حين أنها لم ترد مضافةً إلى الجملة الفعلية المصدرية بالفعل المضارع إلا في (47) موضعاً، وهذا يناسب وضعها؛ لأنها في الأصل ظرف لما مضى من الزمان؛ مع العلم أن الفعل المضارع بعدها بمعنى الماضي؛ لأنها تصرف المضارع إلى الماضي، بخلاف (إذا) التي يكون الفعل الماضي بعدها بمعنى المضارع؛ لأنها تصرف الماضي إلى المضارع.
5. لقد وردت (إذا) (397) مرة، ولكن أغلبها ظرفية شرطية، حيث بلغ عددها (224)، وهذا يناسب وضعها؛ لأن أصل للشرط المتضمن فعل شرط وجوب شرط، ووردت فجائيةً في (46) موضعاً،

¹ الأنعام: 134/6.

ووردت ظرفية متمخضة للظرف في (124) موضعاً، كما وردت محتملة للظرفية، وللظرفية الشرطية في ثلاثة مواضع منها.

6. لقد وردت (حيث) في واحد وثلاثين موضعاً من كتاب الله، وكانت في جميع مواضعها مضافة إلى الجملة الفعلية، ولم ترد مضافة إلى الجملة الاسمية بخلاف (إذ)، و(إذا) فقد وردتا مضافتين إلى الجملتين الاسمية والفعلية.

7. أن حيث وردت للزمان بكثرة، وهذا يؤيد مذهبي ابن جنبي، وابن هشام، ويخالف أغلب أقوال النحاة الذين أنكروا تلك الحقيقة، واصرروا على أنها لم ترد إلا مكانية.

التوصيات

وبعد النتائج السابقة فإنني أوصي الباحثين وطلبة العلم بما يأتي:

1. ضرورة القيام بدراسات جادة للأساليب النحوية من خلال القرآن الكريم، والكتب النحوية القديمة؛ وذلك للاستفادة من القرآن الكريم في تأصيل الحقائق النحوية.
2. لا بد من دراسة الظروف التي تُضاف إلى الجملة جوازاً من خلال القرآن الكريم، والكتب النحوية القديمة.
3. لا بد من الاهتمام بالنحو؛ لأنه المفتاح لفهم القرآن، والسنة، واللذين هما المصدران الرئيسان للتشريع الإسلامي، وأيضاً فالنحو مُصلح لما فسد من اللسان العربي.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الحكم والأمثال وأقوال العرب.
- فهرس القوافي.
- فهرس المصادر ومراجع التحقيق.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
سورة البقرة (2)		
11	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ.	92
21	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ .	63 ، 62
30	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .	61 ، 43 ، 12
34	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ .	12
35	وَكَلا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا .	119 ، 111
49	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ .	43 ، 12
50	وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ .	12
58	فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ .	115 ، 111
124	وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ .	19
126	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا .	76
1270	وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ .	76 ، 19
130-131	وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ .	70 ، 66
133	أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ .	69 ، 68
144 ، 150	وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ .	117 ، 113 ، 111
149 ، 150	وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ .	117 ، 111
165	وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ .	73 ، 69
166	إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا .	73 ، 72 ، 69
180	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ .	99
191	وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ .	111
191	وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ .	111 ، 55
199	ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ .	111 ، 46
217	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ .	13
222	إِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ .	121 ، 120 ، 111
260	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى .	66
282	فَإِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ .	89

سورة آل عمران(3)		
61، 11	بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا.	8
79، 68	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ.	33
79، 67، 44	إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ.	35
44	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ.	42
79	إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ.	45
79	وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ.	54
61، 7	أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.	80
1	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.	85
69	وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ.	121
69	إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ.	122
79، 78	وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ.	152
78	إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تُلُونِ عَلَىٰ أَحَدٍ.	153
84	لَمَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا.	164
سورة النساء(4)		
120، 111	وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.	89
111	وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ.	91
3	وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ.	127
سورة المائدة(5)		
13	وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ.	7
13	اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ.	20
70	يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ.	109
70، 44	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي.	110
16	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ.	116
28	هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ.	119
سورة الأنعام(6)		
73، 15	وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ.	27
85	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا.	91
122، 55	اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.	124

سورة الأعراف(7)		
115 ، 112 ، 48	فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا.	19
53	يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ	26
112 ، 53	إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ.	27
13 ، 12	وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ.	86
7	فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ.	142
123 ، 112	سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.	182
115 ، 112	وَكَلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ.	161
102	وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَأْيَةٌ.	203
سورة الأنفال(8)		
19	وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ.	26
83	وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ.	48
83	إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ.	49
62	وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ.	86
سورة التوبة(9)		
80 ، 68 ، 12	إِلَّا تَتَصَرَّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ.	40
96	وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ.	58
107 ، 101 ، 41	لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ.	91
41	وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّاتِمْ لَتَحْمِلَهُمْ.	92
سورة يونس(10)		
41 ، 35	وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ.	21
36	فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ.	23
سورة يوسف(12)		
3	أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ.	12
112	وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ.	56
112	وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبُوهُمْ.	68
85	وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ.	100
سورة الحجر(15)		
هـ	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ.	9

12	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا.	28
7	إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ.	38
112	وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ.	65
سورة النحل(16)		
124 ، 112	وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.	26
124 ، 112	أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.	45
سورة الإسراء(17)		
12	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ.	61
سورة الكهف(18)		
21 ، 20	وَإِذْ اعْتزَلْتُمُوهُمْ.	16
78	وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ.	21
12	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ.	50
32	حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ.	90
32	حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ.	96
سورة مريم(19)		
71 ، 13	وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ.	16
18	وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ.	39
سورة طه(20)		
36	فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى.	20
109 ، 39 ، 38	قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ.	66
120 ، 112	وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى.	69
12	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ.	116
سورة الأنبياء(21)		
101	وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا.	36
107 ، 102	وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ.	45
71	وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ.	51
71	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ.	52
سورة الفرقان(25)		
101	وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا.	41

سورة الشعراء(26)		
10	فعلتها إذا وأنا من الضالين.	201
سورة النمل(27)		
72، 38	ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم.	45
سورة العنكبوت(29)		
75	ولو طأ إذ قال لقومه.	54
سورة الروم(30)		
39	ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون.	20
96، 40، 35، 30	ثم إذا دعاكم دعوة.	25
38، 36، 35، 34، 96	وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون.	36
سورة الأحزاب(33)		
114، 21	وإذ تقول للذي أنعم الله عليه.	37
107، 18	فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها.	37
22	ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم	39
سورة سبأ(34)		
د	اعملوا آل داوود شكراً.	13
16	ولو ترى إذ فرعوا.	51
سورة فاطر(35)		
21	والله الذي أرسل الرياح.	9
سورة ص(38)		
69	وهل أتاك نبأ الخصم.	21
69	إذ دخلوا على داوود.	22
112	فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب.	36
سورة الزمر(39)		
112	فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون.	25
113	وقالوا الحمد لله.	74
31	حتى إذا جاؤوها فتحت.	71
63	حتى إذا جاؤوها وفتحت.	73

سورة غافر(40)		
16، 3	وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ.	18
77	إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ.	18
77	وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ.	47
15، 16، 18، 19، 21، 22، 23، 24، 30	فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ.	71، 70
29	فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ.	78
سورة الشورى(42)		
3	لَتَنْذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا.	7
102	وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ.	29
32	وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ.	37
32	وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ.	39
سورة الزخرف(43)		
24	يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ.	38
20، 83	وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ.	39
39	فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَايَاتُنَا.	47
سورة الجاثية(45)		
101	وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ.	25
سورة الأحقاف(46)		
21	وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيْقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ.	11
24	فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ.	26
سورة النجم(53)		
32، 104	وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ.	1
102	وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ.	46-45
سورة الواقعة(56)		
31، 33	إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ.	1
33	خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ.	3
15، 33	إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا.	4

6	فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ .	83
6	وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ .	84
سورة الممتحنة (61)		
107	وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَكَبَّوهُنَّ .	10
سورة الجمعة (62)		
121 ، 89 ، 41 ، 32	وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً .	11
سورة الطلاق (65)		
123 ، 113	وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .	3
113	أَسْكَنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ .	6
سورة القلم (68)		
123 ، 113	سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ .	44
سورة نوح (71)		
54	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ .	10
54	يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا .	11
54	وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ .	12
سورة المدثر (74)		
94 ، 93 ، 30	فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ .	8
94 ، 93 ، 30	فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ .	9
104	وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ .	33
104	وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ .	34
سورة التكويد (81)		
29 ، 28	إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ	2-1
سورة الانفطار (82)		
31 ، 30 ، 28	إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ .	1
سورة الانشقاق (84)		
30 ، 28	إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ .	1
سورة البروج (85)		
7	وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ .	2
سورة الفجر (89)		

102	والليل إذا يسر	4
سورة الشمس(91)		
104	وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا.	2
102	وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا.	4
سورة الليل(92)		
104 ، 101 ، 32	وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى.	2-1
سورة الزلزلة(99)		
12	يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا.	4
سورة النصر(111)		
92 ، 30	إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ.	1
92 ، 30	وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.	2
92 ، 30	فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ.	3

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الحديث الشريف	م
15	لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.	1
32	إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً.	2
94	فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.	3

فهرس الحكم والأمثال وأقوال العرب

الصفحة	القول أو المثل	م
14	أخطب ما يكون الأمير قائماً.	1.
48	ألَّقه حيث لقيته	2.
56	من حيث لا يعلمون.	3.
74	وقفتُ الدابة، ووقفتُ الأرض	4.
75	السمن منوانٌ بدرهم.	5.

فهرس القوافي

م	القافية	البحر	القائل	الصفحة
1.	وعظاتٍ.	الطويل	حافظ إبراهيم.	هـ
2.	مخترعاتٍ.	الطويل	حافظ إبراهيم.	هـ
3.	صحيحٌ.	الوافر.	أبو ذؤيب.	10، 7
4.	برائحٍ.	الطويل.	أبو الطمحان.	33
5.	بُدًّا.	الطويل.		83
6.	الشُرْدَا.	البسيط.	عبد مناف بن ربع.	43
7.	بفسادٍ.	الكامل.	الأسود بن يعفر.	42
8.	كثُرٌ.		المرار بن منقذ.	53
9.	المؤتزرًا.		المرار بن منقذ.	53
10.	شمرًا.		عروة بن الورد.	52
11.	لا ندرِي.	الطويل.	الأخطل.	47
12.	بزًّا.	المتقارب.	الخنساء.	82
13.	طالعا.	الرجز.		47، 4
14.	لامعا.	الرجز.		47، 4
15.	تقنُعُ.	الكامل.	أبو ذؤيب الهذلي.	29
16.	العلا.	الرجز.	أبو النجم.	74
17.	مهلا.	منسرح.	الأعشى.	21
18.	أعجلُ.	الطويل.	الشنفري.	20
19.	خلُّ.	مجزوء الوافر.	الأخطل.	82
20.	العمائمُ.	الطويل.	الفرزدق.	44
21.	النجومُ.	الطويل.		90
22.	أينما.		نمر بن تولب العكلي.	65
23.	قشعِمِ.	الطويل.	زهير بن أبي سلمى.	56
24.	يكنُ.			44
25.	اخوانا.		الأخطل.	81
26.	الأزمانِ.	الخفيف.		46، 52، 53، 117، 124

الصفحة	القائل	البحر	القافية	م
55		الخفيف.	أمان.	.27
53	ذو الاصبع العدوانى.	البسيط.	اسقونى.	.28
52	طرفه بن العبد.	المديد.	قدمه	.29
53	عبد يغوث بن وقاص.		ماضيا.	.30

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ارتشاف الضرب من لسان العرب, لأبي حيان الأندلسي (745هـ) تحقيق: د. رجب محمد و د. رمضان عبد التواب, مكتبة الخانقي, القاهرة, ط1, 1998م.
3. الاستيعاب في معرفة الأصحاب, يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (463هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي, دار الجيل, بيروت, ط1, 1991م.
4. أساس البلاغة, لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (528هـ), تحقيق: محمد السود, دار الكتب العلمية, ط1, 1998م.
5. أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية, د. عبد العال سالم مكرم, عالم الكتب, بيروت, ط1, 2007م.
6. الأصول في النحو: أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي, تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي, مؤسسة الرسالة بيروت, ط3, 1988م.
7. الإصابة في تميز الصحابة, لابن حجر العسقلاني (852هـ), تحقيق: ابن حسن الفيومي إبراهيم, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1939هـ.
8. إعراب القرآن, لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (338هـ), تحقيق: د. زهير زاهد, عالم الكتب, بيروت, ط3, 1988م.
9. إعراب القرآن الكريم وبيانه, لمحي الدين الدرويش, اليمامة, بيروت, ودار ابن كثير, بيروت, ودار الإرشاد, سوريا, ط3, 1992م.
10. الأعلام, لخير الدين الزركلي, دار العلم للملايين, بيروت, ط15, 2002م.
11. الأغاني, لأبي الفرج الأصفهاني (356هـ), تحقيق: إبراهيم الأبياري, دار الكتاب المصري, القاهرة, ط2, 1982م.
12. أمالي ابن الشجري, لهبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسن العلووي (542هـ) تحقيق: محمود الطناحي, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط1, 1992م.
13. انباه الرواة على أنباه النحاة, لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (642هـ), تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر, القاهرة, ط1, 1986م.
14. أنوار التنزيل وأسرار التأويل, لناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت691هـ), تحقيق: محمد المرعشلي, دار إحياء التراث العربي, بيروت, د.ط, د.ت.

15. البحر المحيط, محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي, دار الكتب العلمية, بيروت , ط1, 2001م.
16. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة, لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911هـ—), تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر, القاهرة, ط2, 1979م.
17. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب, لمحمود شكري الألوسي البغدادي, دار الفكر, مصر, ط2, 1924م.
18. تاج العروس من جواهر القاموس, محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض , الملقب بمرتضى الزبيدي, تحقيق: مصطفى حجازي, المطبعة الخيرية, مصر, ط1, 1987م.
19. التعريفات, أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني, الدار التونسية للنشر, دت, د.ط .
20. تفسير التحرير والتنوير, لمحمد الطاهر بن عاشور, الدار التونسية للنشر, ط1984م.
21. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب, للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري(604هـ—), دار الفكر, 1981م.
22. تهذيب اللغة, أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي (370هـ—), تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون, الدار المصرية, مصر الجديدة, ط1964م.
23. حاشية الصبآن على شرح الأشموني, لمحمد بن علي الصبآن الشافعي, دار الفكر, بيروت, 2003م.
24. حاشية الصبان على شرح الأشموني, لمحمد بن علي الصبان الشافعي, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1997م.
25. الحجة في القراءات السبع, للإمام ابن خالويه, تحقيق: د.عبد العال مكرم, دار الشروق, ط3, 1997.
26. جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي, أبو جعفر الطبري (310هـ—), تحقيق : أحمد محمد شاكر ,مؤسسة الرسالة.
27. جامع الدروس العربية, مصطفى الغلايني, المكتبة العصرية, صيدا, بيروت, ط28, 1993.
28. الجامع لأحكام القرآن, لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, دار الكتاب العربي, مصر, 1967م.
29. الجامع لأحكام القرآن, لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي, دار الفكر, بيروت, ط2003م.
30. الجمل في النحو, لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (340هـ—), تحقيق: علي الحمد, مؤسسة الرسالة, ط1, 1984م.

31. الجني الداني الحسن بن قاسم المرادي, تحقيق:د.فخر الدين قباوة و أ.محمد فاضل, دار الآفاق الجديدة, بيروت, ط2, 1983م .
32. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب, لعبد القادر بن عمر البغدادي(1093هـ—), تحقيق وشرح: عبد السلام هارون, الهيئة المصرية للكتاب, القاهرة, ط2, 1979م.
33. الخصائص, لأبي الفتح عثمان بن جني, تحقيق: محمد علي النجار, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط3, 1987م.
34. دراسات نقدية في التفسير والحديث , د.كاسد الزبيدي, دار أسامة للنشر والتوزيع, عمان , ودار المشرق الثقافي, عمان, ط2006م.
35. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون, للسمين الحلبي, تحقيق الدكتور: أحمد محمد الخراط, دار القلم, دمشق, 2003م.
36. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثمانية, لأبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني(852هـ—), تحقيق: محمد عبد المعيد ضبان, صيدر آباد, الهند, ط2, 1972م.
37. دليل السالك إلى ألفية ابن مالك , لعبد الله صالح الفوزان, دار المسلم للنشر والتوزيع, ط1, 1416هـ.
38. ديوان الأخطل, شرح وتصنيف: مهدي محمد ناصر الدين, دار الكتب العلمية, بيروت, ط2, 1994م.
39. ديوان الأعشى, شرح وتعليق: د.يوسف فرحات, دار الجيل, بيروت, ط1, 1986م.
40. ديوان ذي الأصبغ, لحرثان بن محرث العدوانى, تحقيق: عبد الوهاب علي وآخرون, مطبعة الجمهور, د.ت, د.ط.
41. ديوان ذي الرمة, لغيلان بن عقبة بن مسعود, تحقيق: أحمد حسن بسج, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 1995م.
42. ديوان حافظ إبراهيم, محمد بن حافظ إبراهيم, ضبط وتصحيح: أحمد أمين وآخرون, القاهرة, 1969م.
43. ديوان الخنساء, لتماضر بنت عمرو السلمية(664هـ—), تحقيق: عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي, ط1816م.
44. ديوان زهير بن أبي سلمى, شرح وتحقيق: علي حسن فاعور, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1988م.
45. ديوان طرفة بن العبد, تحقيق: فوزي عطوي, دار صعب, بيروت, 1980م.
46. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, للعلامة الألوسي البغدادي, دار إحياء التراث العربي, القاهرة, د.ت.

47. زاد المسير في علم التفسير, عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي, المكتب الإسلامي, بيروت, ط3, 1404هـ .
48. شذرات الذهب في أخبار من ذهب, لأبي الفلاح أحمد بن العماد الحنبلي, تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط, ومحمود الأرنؤوط, دار ابن كثير, ط1, 1986م..
49. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل, تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد, دار التراث, القاهرة, ط1999م.
50. شرح السيوطي على ألفية ابن مالك (البهجة المرضية), لجلال الدين السيوطي (911هـ), تحقيق: مصطفى الدشتي, مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليات, ط6, 1964م.
51. شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد), جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (672هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا و طارق فتحي السيد, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2001م.
52. شرح الرضي على الكافية, تحقيق: يحيى مصري, جامعة الإمام محمد بن سعود, السعودية, ط1, 1996م.
53. شرح السيوطي على ألفية ابن مالك, تحقيق: محمد صالح بن أحمد الفرس, دار السلام, القاهرة, ط1, 2000م.
54. شرح شواهد التلخيص, المُسمي معاهد التنقيص, لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي, ط1814م.
55. شرح المفصل, لابن يعيش (643 هـ), إدارة الطباعة المنيرية, مصر, ط1.
56. الشعر والشعراء, لابن قتيبة, تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر, دار المعارف, القاهرة, ط1958م.
57. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح, جمال الدين محمد بن مالك بن عبد الله, تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 2001م.
58. الصحاح, لإسماعيل بن حماد الجوهري (398هـ), تحقيق: أحمد عطار, دار العلم للملايين, بيروت, ط2, 1979م.
59. صحيح البخاري, للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري, تحقيق: د.مصطفى البغا, دار ابن كثير, بيروت, لبنان, ط1993م.
60. طبقات المفسرين, لشمس الدين محمد بن علي الداودي (945هـ), تحقيق: علي محمد عمر, مكتبة وهبة, القاهرة, ط2, 1994م.
61. طبقات المفسرين, لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911هـ), تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, مكتبة وهبة, القاهرة, ط1, 1976م.

62. طبقات النحويين واللغويين, لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (379هـ), تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, مصر, ط2, 1973م.
63. الظروف في ديوان الأعشى (رسالة ماجستير), بشير راضي رواجبة, رسالة ماجستير, المملكة العربية السعودية.
64. عيون الأنبياء في طبقات الأطباء, لأحمد بن قاسم السعدي المعروف بابن أبي أصيبعة, المطبعة الوهبية, ط1383م.
65. القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب, عبد الفتاح القاضي, دار الكتاب العربي, بيروت, ط1981م.
66. اللباب في علل البناء وقواعد الإعراب, لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري, تحقيق: د.غازي مختار طليمات, دار الفكر, دمشق, ط1, 1416هـ.
67. لسان العرب, لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ), دار صادر, بيروت, ط1.
68. الكتاب, لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (180هـ), شرح وتحقيق: عبد السلام هارون, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط3, 1988م.
69. الكشف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (583هـ), تحقيق: الشيخ: عادل عبد الموجود, والشيخ: علي معوض, مكتبة العبيكة, ط1, 1998م.
70. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (583هـ), تحقيق: عبد الرازق مهدي, دار إحياء التراث العربي, بيروت.
71. المحتسب, لابن جني, تحقيق: علي النجدي ناصف, ورفاقه, القاهرة, ط1969م.
72. مجاز القرآن, لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي, تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين, مكتبة الخانجي, د.ت, د.ط.
73. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, لابن عطية الأندلسي, تحقيق: الرحالي الفاروق و آخرين, دار العلوم, الدوحة, قطر, ط1977م.
74. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي, تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرون, دار الخير, قطر, ط2, 2007م.
75. مشكل إعراب القرآن, لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي, تحقيق: د.حاتم الضامن, دار البشائر, دمشق, ط1, 2003م.
76. معاني القرآن و إعرابه, للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (311هـ), شرح وتحقيق الدكتور: عبد الجليل عبده شلبي, دار الوليد, جدة, ط1, 1994م.

77. معاني القرآن, للفراء, تحقيق: محمد النجار وآخرين, دار الكتب والوثائق القومية, القاهرة, ط3, 1422هـ.
78. معاني القرآن, للفراء, تحقيق: هدى قراءة وآخرين, مكتبة الخانجي, ط1, 1411هـ.
79. مغني اللبيب عن كتب الأعراب, لجمال الدين ابن هشام الأنصاري(761هـ), تحقيق: د. مازن المبارك, دار الفكر - دمشق, 1985م.
80. مفتاح السعادة ومصباح السيادة, لطاش كبري زادة, دار الكتب العلمية, ط1923م.
81. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, ليوسف بن تغري بردي الأتابكي, تحقيق: محمد حسين شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1992م.
82. نهاية الأرب في فنون الأدب, لأحمد بن عبد الوهاب النويري, دار الكتب المصرية, ط1924م.
83. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع, للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(911هـ), تحقيق: أحمد شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1998م.
84. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, لأحمد بن أبي بكر بن خلكان (681هـ), تحقيق: د. إحسان عباس, دار صادر, بيروت, ط1968م.

الأبحاث العلمية

- ❖ حيث بين ثبات قواعد اللغة العربية, وتطور صور الاستعمال, بحث محكم), مجلة جامعة دمشق, المجلد 24, العدد الأول + العدد الثاني.
- ❖ مدلولات (إذ) و (إذا) و (إن), زيـــــاد أبـــــو رجبـــــائي,
<http://almenhaj.net/makal.php?linkid=73>.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	المقدمة
1	الفصل الأول: الظروف التي تضاف إلى الجملة في اللغة العربية
1	تعريف الظرف
4	تعريف الإضافة
6	المبحث الأول: (إذ) بناؤها واستعمالاتها
6	أولاً: سبب بنائها
11	ثانياً: استعمالات (إذ)
27	المبحث الثاني: (إذا) بناؤها واستعمالاتها
27	أولاً: سبب بنائها
29	ثانياً: استعمالات (إذا)
29	أولاً: (إذا) الظرفية
34	ثانياً: (إذا) الفجائية
39	العامل في (إذا) الفجائية
41	الفرق بين (إذا) الفجائية و(إذا) الشرطية
42	(إذ) و (إذا) الزائدتان
46	المبحث الثالث: (حيث) بناؤها واستعمالاتها
47	أولاً: علة بنائها
51	ثانياً: استعمالات (حيث)
55	خروج حيث عن الظرفية
57	الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لـ (إذ) في القرآن الكريم
61	أولاً: (إذ) الظرفية المضافة إلى جملة فعلية
61	(إذ) الظرفية المضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى
72	(إذ) الظرفية المضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنى
75	(إذ) الظرفية المضافة إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً لا معنى

77	(إذ) الظرفية المضافة إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً ومعنى
80	ثانياً: (إذ) المضافة إلى جملة اسمية
82	ثالثاً: (إذ) التعليلية.
86	الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لـ (إذا) في القرآن الكريم
86	أولاً: (إذا) الشرطية
86	(إذا) الشرطية المضافة إلى الجملة الفعلية
86	(إذ) الشرطية المضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنى
91	(إذ) الشرطية المضافة إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً ومعنى
91	جواب (إذا) الشرطية
91	(إذا) الشرطية جوابها جملة فعلية
93	(إذا) الشرطية جوابها جملة اسمية
93	(إذا) الشرطية جوابها جملة اسمية مقرونة بالفاء
95	(إذا) الشرطية جوابها جملة اسمية مقرونة بإذا الفجائية
97	ثانياً: (إذا) الظرفية
97	(إذ) الظرفية المضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنى
100	(إذ) الظرفية المضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً ومعنى
102	(إذ) الظرفية المضافة إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً ومعنى
108	ثالثاً: (إذا) الفجائية
111	الفصل الرابع: دراسة تطبيقية لـ (حيث) في القرآن الكريم.
113	أولاً: (حيث) مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً لا معنى
120	ثانياً: (حيث) مضافة إلى جملة فعلية فعلها ماضٍ لفظاً و معنى
122	(حيث) مضافة إلى جملة فعلية فعلها مضارع لفظاً لا معنى
125	الخاتمة
127	الفهارس الفنية
128	فهرس الآيات القرآنية
136	فهرس الأحاديث
137	فهرس الحكم والأمثال وأقوال العرب.
138	فهرس القوافي
140	المصادر والمراجع

الملخص

تهدف الدراسة إلى إبراز الوجوه الإعرابية للظروف التي تضاف إلى الجملة وجوباً، وذلك من خلال كتب التفسير والنحو، وقد استخدم الباحث بإتباع المنهج الوصفي الاستقرائي، والذي يتناسب مع طبيعة البحث، وقد هدفت الدراسة إلى عدة أهداف أهمها:

1. عرض معاني الظروف في ضوء الأسلوب القرآني، وعلى هدي المعاني النحوية.
2. الوقوف على استعمال هذه الظروف، وطريقة استعمالها كل على حده.
3. الوقوف على أسرار الأساليب التي اشتملت عليها هذه الظروف.
4. رفد المكتبة العربية بإضاءة بحثية هادفة في مجالي العلوم القرآنية والنحوية.

وقد أكد البحث أن علة بناء (إذا) هي نفسها علة بناء (إذا)، مُضافاً إليها أن (إذا) أداة شرط متضمنة معنى الجزاء، بخلاف حيث، والتي تراوحت أقوال العرب في علة بنائه؛ لأن حيث ورد للعرب فيه لغات عدة، بخلاف قرينيه اللذين لم يبنيا إلا على السكون، ولم يرد فيهما بناء على ضم ولا فتح؛ ولم يرد للعرب فيهما لغات، إن إضافة (إن) إلى الجملة الفعلية المصدرية بالفعل الماضي أكثر من إضافتها إلى الجملة الفعلية المصدرية بالفعل المضارع، حيث وردت مضافة إلى الجملة الفعلية المصدرية بالفعل الماضي في (185) موضعاً، في حين أنها لم ترد مضافة إلى الجملة الفعلية المصدرية بالفعل المضارع إلا في (47) موضعاً، وهذا يناسب وضعها؛ لأنها في الأصل ظرف لما مضى من الزمان؛ مع العلم أن الفعل المضارع بعدها بمعنى الماضي؛ لأنها تصرف المضارع إلى الماضي، بخلاف (إذا) التي يكون الفعل الماضي بعدها بمعنى المضارع؛ لأنها تصرف الماضي إلى المضارع.

لقد وردت (إذا) (397) مرة، ولكن أغلبها ظرفية شرطية، حيث بلغ عددها (224)، وهذا يناسب وضعها؛ لأن أصل للشرط المتضمن فعل شرط وجوب شرط، ووردت فجائية في (46) موضعاً، ووردت ظرفية متمخضة للظرف في (124) موضعاً، كما وردت محتملة للظرفية، وللظرفية الشرطية في ثلاثة مواضع منها.

كما أكد على أن حيث وردت للزمان بكثرة، وهذا يؤيد مذهبي ابن جني، وابن هشام، ويخالف أغلب أقوال النحاة الذين أنكروا تلك الحقيقة، وأصرروا على أنها لم ترد إلا مكانية.

Abstract

The adverb that are obligatorily added to the sentence through the holy quran.

The study aimed at studying the three adverb that are obligatorily added to the sentence through the holy quran, The researcher used the descriptive deductive method to investigate and describe the adverbs, The study thus, aimed at:

1. listing the adverbs through the quran and grammatical explanation.
2. Explaining the use of these adverbs.
3. Explaining the implicit meanings
4. providing a purposeful study in the field of quran and grammatical studies.

The researcher has asserted that the reason behind the indeclension of "Eth" and "Etha" is the same. in addition "Etha" is a conditional phrase.

On the contrary "Haith" is unconditional .

The attachment of "Eth" to the past tensed verbal sentence has appeared (185) times, whereas The attachment of "Eth" to the present tensed verbal sentence has appeared (47) times.

"Etha" appeared in a lot of (397) times , (224) of which are conditionals, (46) of which are sudden appearance, and three of which are possible for adverb or condition.

The study asserted "Haith" used to describe place that supports ibn jenny and ibn hisham views.